نشر ثقافة التفاؤل في ضوء الأدعية المأثورة

أ.د. عبدالقادر بن ياسين بن ناصر الخطيب[1]

الملخص

عنوان البحث: نشر ثقافة التفاؤل في ضوء الأدعية المأثورة

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- إبراز أهمية التفاؤل، وبخاصة في أوقات المحن والشدائد، فإن الحياة لا تدوم على حالة واحدة، بل تتقلب بين سرور وحزن، وعسر ويسر، وإذا كان التفاؤل مهماً في كل حال، فإن أهميته تعظم في أيام العُسر والشدة.
- إظهار أهمية الأدعية المأثورة في إيجاد بيئة متفائلة؛ فللأقوال المفرحة والأفعال الحسنة أثرٌ بالغٌ في إيجاد البيئة المتفائلة.
- التأكيد على أن المعاني التي اشتملت عليها الأدعية المأثورة، تبعث على التفاؤل، مثل حسن الظن بالله، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، ما يجعلها وسيلة ناجعة للتعوّد على التفاؤل، وغرس ثقافته بين أبناء المجتمع.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والتحليلي.

(١) الأستاذ بكلية القانون، جامعة الأمير سلطان، المملكة العربية السعودية
حاصل على الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم أصول الفقه، وعنوان الرسالة: (دلالات الألفاظ والاجتهاد والتقليد والتعارض والترجيح عند الماوردي، جمعاً وتوثيقاً ودراسة).
وحاصل على الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم أصول الفقه، وعنوان الرسالة: (الجزء التاسع من الشامل في شرح أصول فخر الإسلام البزدوي، للإمام أبي حنيفة قوام الدين الإتقاني، دراسة وتحقيقاً)

أهم النتائج: ينظر الإسلام إلى أن التفاؤلَ وقودٌ شعوريٌّ محفزٌ لطاقات الإنسان، لذا فإن التفاؤل المشروع هو الذي يدعو إلى العمل ويشجع على الجدّ والمثابرة. وبتتبع ما تضمنته الأدعية المأثورة من طلب المصالح العاجلة والآجلة، تبين أنها تهيئ البيئة المناسبة للتفاؤل، فهي تشجع الداعي على التفاؤل، وتجسّد فيه الرغبة في الحياة الطيبة، وتستجلب الفرحة والسرور، وتشيع العبارات الحسنة التي تدل على ارتياح قائلها واطمئنانه ورضاه.

التوصيات: أوصي الباحثين بالاهتمام بتأصيل التفاؤل، وتوضيح علاقته بمقاصد الشريعة وقواعدها، وباستنباط معانيه ومراميه في نصوص الشريعة، وذلك بدراستها دراسة أصولية مقاصدية.

الكلمات المفتاحية: التفاؤل .. الأدعية المأثورة.. نشر الثقافة

Spreading a Culture of Optimism through Reported Supplications

Abstract:

Research title: Spreading a culture of optimism through reported supplications.

Research objectives :

- Highlighting the importance of optimism, especially in times of adversity, as life does not remain in one state, but rather fluctuates between happiness and sadness, hardship and ease, and if optimism is important in every situation, its importance is greater in days of adversity.
- Showing the importance of well-known supplications in creating an optimistic environment; happy words and good deeds have a great impact in creating an optimistic environment.
- Emphasizing that the meanings contained in the famous supplications inspire optimism, such as having good faith in God, trusting in Him, and being content with His decree, which makes them a useful means of getting used to optimism and instilling its culture among the members of society.

Research Methodology: inductive method, descriptive and analytical method.

The most important results: Islam views optimism as an emotional fuel that stimulates human energies. Therefore, legitimate optimism calls for action and encourages diligence and perseverance. By tracking the content of the well-known supplications regarding the request for immediate and future interests, it became clear that they create the appropriate environment for optimism, as they encourage the one who prays for optimism, embody in him the desire for a good life, bring joy and pleasure, and spread good expressions that indicate the relief, reassurance, and contentment of those who say them.

Recommendations: I recommend that researchers focus on rooting optimism, clarifying its relationship to the objectives and rules of Sharia law, and deducing its meanings in Sharia texts by studying them with a fundamental purposeful study.

Keywords: optimism. famous supplications. spreading culture

الحمد لله ذي الفضل والثناء، كاشف الضر والبلاء، مجيب دعوة ذي الرجاء، وأصلي وأسلم على إمام المتقين، وسيد المتفائلين، وقدوة الداعين، محمد، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى وسادة المتوكلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اهتم الإسلام بالتفاؤل اهتماماً عظيماً؛ لما له من آثار كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، وفوائد عديدة تتعلق بمجالات حياتهم، فهو توقُّع الخير، الناشئ عن حُسن ظنّ المسلم بربه، المعزَّز بما وَقَر في قلبه من التوكل عليه والثقة به، المؤيَّد بما يقوله أو يسمعه من كلام حَسَن، يبعث على العمل والجدّ والمثابرة، وبخاصة عند المحن والأزمات، ولهذا لا غرو أن يُعجب النبي ﷺ بالفأل الحسن، وأن يكون متفائلاً في أحواله كلها، وأن يسير على هديه صحبُه الكرام والتابعون وسلف الأمة وخلفها ﷺ، قارنين ذلك بالعمل والسعي في الأرض، كما أمر الله، متعاونين على نهضة مجتمعهم وأمتهم ورقيّها.

وقد حرص الإسلام على نشر ثقافة التفاؤل بين أفراد المجتمع، وإشاعتها في مجتمعاتنا، بوسائل متنوعة، أهمها الأدعيةُ المأثورة، فهي في غالبها صادرة عن النبي ﷺ، سيدِ المتفائلين، كما أنها تشتمل على رجاءٍ لأمور حسنة خيّرة، واستعاذةٍ من أمور سيئة شريرة، ولهذا كان لها أثرٌ واضحٌ على إيجاد بيئة متفائلة، مشجعةٍ على السلوك الإيجابي، وبخاصةٍ عند الشدائد؛ فإن الله يحب من عباده – وبخاصة المبتلى منهم – أن يدعوه ويرجوه ويطّرحوا بين يديه. وسأبين أثر هذه الأدعية في نشر ثقافة التفاؤل من خلال بحث عنوانه: "نشر ثقافة التفاؤل في ضوء الأدعية المأثورة".

مشكلة البحث: سأجيب في بحثي هذا على التساؤلات التالية:

- ما أهمية التفاؤل؟ وكيف اعتني الإسلام به؟
- ما أهمية الأدعية المأثورة بشكل عام؟

- ما أثر الأدعية المأثورة في تعزيز التفاؤل؟ وكيف تساعد في نشر ثقافة التفاؤل بين أفراد المجتمع؟

حدود البحث: يدور البحث حول تتبع الأدعية المأثورة، وبيان أثرها في نشر ثقافة التفاؤل.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- إبراز أهمية التفاؤل، وبخاصة في أوقات المحن والشدائد، فإن الحياة – على مر العصور – لا تدوم على حالة واحدة، بل تتقلب بين سرور وحزن، وعسر ويسر، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؛ ابتلاءً من الله لعباده، وإذا كان التفاؤل مهماً في كل حال، فإن أهميته تعظم في أيام العُسر والشدة، وتكون الحاجة مُلحة إلى نشر ثقافة التفاؤل، ورفع وعي الناس بأهميته، وتشجيعهم على إشاعة الكلمة الطيبة، مع استشرافهم للمستقبل، والتخطيط الأمثل، وبذل الجهد المطلوب في القيام بالأعمال التي يرغبون في القيام بها؛ لينتج لنا مجتمعاً متفائلاً متطلعاً للعمل والبناء والنماء.
- إبراز اهتمام الإسلام –وهو الدين الذي حثّ على البشارة والابتسامة والتيسير– بالتفاؤل، وحرصه على إشاعته ونشر ثقافته؛ لما له من دلالة على رضا المسلم بالمقدور، وحُسن الظن بالمقدِّر سبحانه وتعالى، إضافة إلى فوائده الكثيرة الأخرى، وهذا أمر مهم وبخاصة في حال الأزمات والمحن التي يكون فيها الإنسان في أشد حالاته ضعفاً، وأكثرها احتياجاً إلى ما يساعده على تجاوز هذه الشدة.
- إظهار أهمية الأدعية المأثورة في إيجاد بيئة متفائلة؛ ذلك أن للأقوال المفرحة والأفعال الحسنة أثراً بالغاً في إيجاد البيئة المشجعة على التفاؤل؛ فعلى المسلم إذا رغب في الحصول على التفاؤل أن يكثر من سماع الأقوال الباعثة عليه، ومن أهمها الأدعية المأثورة التي تتجسد فيها رغبته الحقيقة في العيشة الهنية، والسلامة من كل بلاء وبلية، وهي أدعية صادرة عن سيد المتفائلين، ورحمة الله للعالمين.

- التأكيد على أن المعاني التي اشتملت عليها الأدعية المأثورة، تبعث – بالاستقراء – على التفاؤل، مثل الاستعانة بالله، والثقة به، وحسن الظن به، والتوكل عليه سبحانه، والرضا بقضائه وقدره، ما يجعلها وسيلة ناجعة للتعوّد على التفاؤل، وغرس ثقافته بين أبناء المجتمع.
- أن يستشعر المسلمون نعمة الله عليهم بهذا الدين، الذي اهتم بمجالات الحياة المتنوعة، ما يدل على عظمته ورحمته، فيحرصوا على امتثال توجيهاته؛ طلباً لما فيه صلاحهم وفلاحهم.

الدراسات السابقة: كتب كثير من العلماء – قديماً وحديثاً – في التفاؤل(١)، وفي الأدعية المأثورة(٢)، ولكن لم أجد – بحسب اطلاعي – مَن تعرض لبيان أثر الأدعية المأثورة في نشر ثقافة التفاؤل، فكان ذلك دافعاً لي إلى الكتابة في هذا الموضوع.

منهج البحث: اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الاستقرائي، حيث تتبعت النصوص المتعلقة بالتفاؤل وبالأدعية المأثورة، بحسب الإمكان.

والمنهج الوصفي: وذلك بتتبع ودراسة ما كُتب عن التفاؤل والأدعية المأثورة في الكتب والدراسات والأبحاث القديمة والمعاصرة، وترتيبها منهجياً ضمن مطالب البحث ومسائله.

والمنهج التحليلي: حيث قمت بتحليل ما تتبعته وجمعته من نصوص ومسائل، مع تفسيرها وشرحها، متأملاً فيها، ومقارنا بينها وبين واقع التفاؤل؛ لأستنتج من ذلك كله ما أرى

(١) مثل: تفاؤله ﷺ في الأزمات، د. إبراهيم بن عبدالله لدويش، استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، د. عبدالقدوس أسامة السامرائي، التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله، د. صفاء التكينة.

(٢) مثل: الدعاء، لأبي القاسم الطبراني [ت: ٣٦٠هـ]، شأن الدعاء، لأبي سليمان الخطابي [٣٨٨هـ]، الدعاء من الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني.

وجاهته مؤَيداً بالدليل؛ فمن التحليل إلى التفسير ثم النقد والتمحيص، ثم الاستنباط.

خطة البحث: تضمنت الخطة على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفق الآتي:

المقدمة، وفيها عنوان البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه

المبحث الأول: أهمية التفاؤل، والأدعية المأثورة

- المطلب الأول: معنى التفاؤل
- المطلب الثاني: أهمية التفاؤل وعناية الإسلام به
- المطلب الثالث: الحكم الشرعي للتفاؤل، وعلاقته بالعمل وبذل الأسباب
- المطلب الرابع: معنى الأدعية المأثورة
- المطلب الخامس: أهمية الأدعية المأثورة وعناية الإسلام بها
- المطلب السادس: علاقة الأدعية المأثورة بالتفاؤل

المبحث الثاني: أثر الأدعية المأثورة في نشر ثقافة التفاؤل

- المطلب الأول: أثر الأدعية المأثورة في التعويد على طلب الخير، والاستعاذة به من الشر
- المطلب الثاني: أثر الأدعية المأثورة في التفاؤل بالعيش الحميد، والأمن والأمان
- المطلب الثالث: أثر الأدعية المأثورة في التدريب على الاستعانة بالله والرضا بقضائه
- المطلب الرابع: أثر الأدعية المأثورة في تنمية حسن الظن بالله والثقة به، والتوكل عليه
- المطلب الخامس أثر الأدعية المأثورة في زيادة الطاعات

الخاتمة

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

أهمية التفاؤل، والأدعية المأثورة

المطلب الأول: معنى التفاؤل

التفاؤل في اللغة: من الفأل، و "الفاء والألف واللام": ما يتفاءل به[١]، وهو في اللغة مهموز، «وقد أُولع الناس بترك همزه تخفيفاً»[٢]، والجمع فُؤول، وقيل: أَفْؤُل، والفأل يكون فيما يَحسُن وفيما يسوء، يقال: تَفاءَلْت تَفاؤُلًا، وذلك أن تَسْمَع الإِنسان - وأَنت تريدُ الحاجةَ - يدعُو: يا سَعيدُ يا أفلح. أو يدعُو باسمٍ قبيحٍ[٣]، وخصّه بعض اللغويين بالقول أو الفعل الذي يستبشر به[٤].

والتفاؤل في الاصطلاح: اكتفى كثير من العلماء عند تعريفهم للتفاؤل بذكر مثال له، فقال ابن الأثير [ت: ٦٠٦هـ]: «ومعنى التفاؤل: مثل أن يكون رجلٌ مريضٌ فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: "يا سالم". أو يكون طالب ضالةٍ فيسمع آخر يقول: "يا واجد"، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته، ومنه الحديث (قيل: يا رسول الله: ما الفأل؟ فقال: الكلمة الصالحة)»[٥][٦]. وهذا المعنى قريب مما ذُكر في معناه اللغوي.

وعرف المعاصرون التفاؤلَ بعبارات كثيرة، منها:

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤٦٨ مادة "فأل".

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٥١٣مادة "فأل".

(٣) ينظر مادة "فأل": لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٥١٣، الصحاح، الجوهري، ٥/ ١٧٨٨.

(٤) ينظر مادة "فأل": المعجم الوسيط، ٢/ ٦٧١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، ٧/ ١٣٥، رقم (٥٧٥٤).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/ ٤٠٦، وينظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ١٠/ ٢٩٥.

أن التفاؤل: هو الكلمة الطيبة التي تبعث على السلوك الإيجابي في الحياة، فتبعث النفس إلى الطمأنينة في أوقات صعبة، وظروف عسيرة، وتمنحها روح التجدد وقابلية السعادة، وتحرك في كوامنها الإيجابية ومقوماتها، وتنهض بها إلى الجد والاجتهاد والإقبال على عمل الدنيا والآخرة بكل حرفية ونشاط، وروح وحماس وإقدام ومسؤولية.

وعرفته منظمة الصحة النفسية بأنه: عملية نفسية إرادية تولّد أفكارَ الرضا ومشاعره، والتحمّل والثقة، وتُبعد أفكارَ اليأس ومشاعر الانهزامية والعجز(١).

والذي أراه أن معنى التفاؤل في ضوء النصوص الشرعية: هو شعور نفسي، ناشئ عن حسن ظن المسلم بالله تعالى، مُعَزَّزٌ بما وَقَرَ في قلبه من التوكل على الله والثقة به، مؤيَّدٌ بما يقوله أو يسمعه من كلام حسن، عند حصول الملمّات، يَبْعث على الطمأنينة، وتوقّع الخير، ويشجع على السلوك الإيجابي، المثْمِر للسعادة والارتياح، المحرِّك نحو العمل والجدّ، وبخاصة عند الأزمات والشدائد.

فالإسلام ينظر إلى التفاؤل على أنه انعكاس فكري ونفسي لحسن ظن المسلم بربه، ووقود شعوري لطاقاته؛ لتعمل بأقصى إمكاناتها؛ لينال مبتغاه من الحياة، فإن هو فشل في تحقيق هدفه فلا يركن إلى اليأس والقنوط، بل يعيد الكرة مرة بعد مرة، وهو يستعيض في نفسه أجر مجهوده في الآخرة(٢)، وهذا يتطلب الاهتمام ببيئته المحيطة به، وهي كل ما تسمعه آذانه، وتقع عليه عينه، وما يقوله وطريقة قوله(٣).

والمراد بنشر الثقافة التفاؤل: أن يتحول مفهوم التفاؤل إلى أفكار وعادات سلوكية، معروفة

(١) استراتيجية التفاؤل سبيلك إلى النجاح، د. عبدالقدوس السامرائي، ٦٧.

(٢) ينظر: موقع السكينة على الشبكة العالمية:www.assakina.com، تفاؤله ﷺ في الأزمات، الدويش، ٥.

(٣) ينظر: استراتيجية التفاؤل، د. عبدالقدوس السامرئي، ١٣٣.

بين أفراد المجتمع، وراسخة في أذهانهم، ويمارسونها - في واقعهم - بسهولة ويسر، ويحافظون عليها، ويتناقلونها جيلاً بعد جيل، بحيث تصير جزءاً من نمط حياتهم.

الألفاظ ذات الصلة بـ "التفاؤل": هناك مصطلحات ذات صلة بالتفاؤل، منها:

- الأَمَلُ: وهو الرجاءُ[١].
- الرجاء: وهو من الأمل كما سبق، يقال: رَجَوْتُهُ أَرْجُوهُ: أَمَّلْتُهُ[٢]. وفرق بعضهم بين الأمل والرجاء[٣].
- التفكير الإيجابي: هو موقف ذهني يمكّن صاحبه من إعمال عقله بطريقة تساعده على النمو والنجاح، ويتوقع صاحبه نتائج طيبة لكل فكرة أو عمل يقبل عليه[٤].
- التشاؤم: وهو توقع الشر والمكروه[٥].
- اليأس: انقطاع الرجاء، فاليأس نقيض الرجاء، وقيل: هو الْقنُوط، وقيل: القنوط أَشد مُبَالغَة من الْيَأْس[٦].

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري، ٤/ ١٦٢٧، مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ١٤٠.

(٢) ينظر مادة "رجو" المصباح المنير، الفيومي، ١/ ٢٢١، مختار الصحاح، الرازي، ١١٦.

(٣) قال أبو هلال العسكري [ت: ٣٩٥هـ]: «وأما الرجاء: فهو بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، أي يخافه. وقال بعضهم: الأمل يكون في الممكن والمستحيل. والرجاء يختص بالممكن. قلت: الصحيح أن هذا الفرق بين التمني والرجاء. وأما الأمل فلا يكون في المستحيل» وإنما يكون فيما يبعد حصوله، فمن عزم على سفر إلى بلد بعيد، يقول: أمّلت الوصول.
الفروق اللغوية، للعسكري، ٧٣، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ٦٢، المعجم الوسيط، ١/ ٢٧.

(٤) ينظر: مقال بعنوان: قوة التفكير، لشادية سعيد أبوعزيز، منشور في "موقع الألوكة" على الشبكة العالمية:www.alukah.net .

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ٢/ ١١٣٥.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٢٥٩، الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ٢٤٥.

– الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكّن: هي التشاؤم بالشيء[١].

المطلب الثاني: أهمية التفاؤل وعناية الإسلام به

اهتم الإسلام بالتفاؤل، فتضافرت الأدلة في الحث عليه[٢]، وأكدت – هذه الأدلة – على علاقته الوثيقة بالعقيدة، وارتباطه القوي بالعبادة، وصلته المباشرة بالأخلاق، وأبين ذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: علاقة التفاؤل بالعقيدة[٣]: العقيدة هي الأساس الأول للمنهج الإسلامي، فعلى أساسها يقوم التشريع، ومنها ينبع سلوك المسلم؛ فسلوك الأفراد ثمرة ومظهر من

قال الآلوسي [ت: ١٢٧٠هـ] في الفرق بين اليأس والقنوط: ((وفرقوا بينها بأن اليأس عدم أمل وقوع شيء من أنواع الرحمة له، والقنوط هو ذاك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع)). تفسير روح المعاني، الألوسي، ٧/ ٤٣.

(١) كان التطير عند العرب في الجاهلية أنهم يُزعجون الطير ويُنَفّرونه عند إرادة الخروج للحاجة، فإذا تركت سلوك وجهة اليمين رجعوا عن قضاء حوائجهم وأبطلوا أسفارهم، وألغوا تجاراتهم، وكانوا يتطيرون بصوت الغراب وبمرور الظباء، وكان التشاؤم في العجم إذا رأى الصبي ذاهباً إلى المعلم تشاءم أو راجعاً تيمن، وكذا إذا رأى الجمل موفرا حملا تشاءم فإن رآه واضعا حمله تيمن ونحو ذلك، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك كله. ينظر تفصيل ذلك في : فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٢١٥، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/ ١٥٢، استراتيجية التفاؤل، السامرائي، ٣١.

(٢) وقد أوردتُ بعضها في ثنايا هذا البحث، مثل قول النبي ﷺ: (يُعجِبُنِي الفألُ الصَّالِحُ الكلمةُ الحسنةُ). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الفأل، ٧/ ١٣٥، رقم (٥٧٥٦).
وينظر في هذه الأدلة: تفاؤله ﷺ في الأزمات، د. إبراهيم الدويش، ٣١ وما بعدها، التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله، صفاء التكينة، ٤٦ وما بعدها.

(٣) العقيدة: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وما أجمع عليه السلف الصالح من أصول الدين، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر العقل، ٩.

مظاهر عقيدتهم، وترتقي قِيَمهم وأخلاقهم بقدر تمكن العقيدة الإسلامية من قلوبهم، فإن الإيمان ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي فقط، وإنما هو اعتقاد وعمل وإخلاص، يدفع الإنسان للعمل بما يؤمن به طائعاً مختاراً(١)، ويمكن إبراز أثر العقيدة الإسلامية في تحفيز المسلم وتربيته على التفاؤل في أمور كثيرة، أهمها:

١. الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، وهو يقتضي التصديق بما جاء عنهما في الكتاب والسنة، وقد وردت فيهما نصوص كثيرة تحدثنا على التفاؤل، وتبين لنا عظيم فضله(٢).

٢. الإيمان بالملائكة، الذين خلقهم الله وسخرهم لحفظ بني آدم، وهم جنود الله الذين ينصر بهم عباده، فيثبتونهم، ويبشرونهم بالخير ويحضونهم عليه، ويعِدونهم بكرم الله وعطائه، ويصبّرونهم على البلاء، ويبشرونهم بعظيم ثواب الصابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣١](٣)، وهذه الآيات وأمثالها تقوي إيمان المسلم بأن الله تعالى سخّر له قوةً تؤيده وتعينه وتنصره، فيهبه ذلك اطمئناناً وأُنساً مضافاً إلى ما يحصله من اطمئنان وأنس بإيمانه بالله تعالى وبرسوله(٤)، ما يهيئ له البيئة المناسبة للتفاؤل عند حدوث ما يكرهه.

٣. الإيمان باليوم الآخر، وهو يدفع إلى القول الخيّر وتوقع الخير؛ فإذا تيقن المسلم بأن الله سيبعثه، وسيجازيه بعمله؛ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

(١) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، ١/ ٢٠٢.
(٢) ينظر: ص٨ من البحث هامش (٦) .
(٣) ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – المقدمة/ ٧٥.
(٤) ينظر: الإيمان بالملائكة، أ. أحمد عز الدين البيانوني، ٤٩ وما بعدها.

يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧–٨]، استبشر واطمئن ودَفَعَه ذلك إلى تحري الخير وتوقّعه، وبَذَل الوسعَ في القيام به، وهذا هو التفاؤل المطلوب.

٤. الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو يعتبر أقوى حافز للإنسان إلى التفاؤل، والإقدام على الأمور العظيمة بثبات وعزم وثقة بالله، كما أنه يمنحه صبراً على المصائب، ويقيناً بأن الله لم يقدر المقادير إلا لحكمة يعلمها، فيملأ قلبه رضاً ورجاء بفرج الله، فلا يستبد به سخطٌ أو هلعٌ أو يأسٌ أو قنوطٌ[١].

٥. استحضار أسماء الله وصفاته، ومعرفة معانيها، فإن لها تأثيراً قوياً في طمأنينة النفس وانشراح الصدر، والثقة بمعية الله وإعانته وتأييده ورجاء الخير من عنده[٢]، وإن مدار إحسان الظن بالله تعالى وأساسه الذي يقوم عليه هو معرفة العبد بما وصف الله تعالى به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ. ومن أسمائه تعالى التي لها أثر في التفاؤل: "الفتاح" قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، فهو الذي يفتح أبواب الرزق، ويكشف الغمة عن عباده، ويسرع بالفرج، ويرفع الكرب، ويزيل الضراء[٣]، ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، ومن هنا ينطلق المسلم في يقينه بعطاء الله وكرمه، ويعلم أن عليه بذل الأسباب والعمل بجد وإخلاص، ويتفاءل بأن الله سيفتح له مغاليق الأمور.

المسألة الثانية: علاقة التفاؤل بالعبادة[٤]: فسح الإسلام مفهوم العبادة ووسع دائرته، بحيث شمل الحياة كلها؛ لأنه جاء يرسم للإنسان منهج حياته، ويحدد سلوكه

(١) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، ١١٢.
(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/ ٣٢٤، إحسان الظن بالله تعالى، د. فهد الفهيد، ١٢.
(٣) ينظر: فقه الأسماء الحسنى، د. عبدالرزاق البدر، ١٢٢.
(٤) العبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. العبودية، ابن تيمية، ٤٤.

وعلاقاته، وفقاً لما تهدي إليه توجيهات الإسلام، وتبرز علاقة التفاؤل بالعبادة في الأمور التالية:

- المسلم وهو يتعبد الله تعالى، فإنه يرجوه ويتفاءل بقبول عبادته إذا أخلص لله تعالى فيها، وأن الله لن يرد عمله، كما أن للفأل الحسن علاقة بعبادات أخرى يشجع عليها ويكون سبباً فيها، مثل الصلاة فهي من أركان الإسلام، وهي تصل العبد بربّه، وفيها تظهر عبوديته له، وافتقاره إليه، ولهذا فهي تمنح العبد قوة في النفس وفي الإرادة، فعند دخول العبد في الصلاة يقول: "الله أكبر"، وبالتكبير يوقن الإنسان أنّ الله ﷻ هو الأكبر والأقوى من كلّ ما قد يواجهه في الحياة من مصاعب ومشاق، فيثبت قلبه، ويسكن روعه؛ لتيقنه بأنّ الله ﷻ الّذي يتّصل معه خمس مرّات في اليوم – في أقل الأحوال – هو الّذي سيحفظه من كل شر، ويهديه إلى كل خير. قال ابن القيم [ت: ٧٥١ هـ] "من أدَّى حقها – أي: الصلاة – وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه، فهذا إذا انصرف منها وجد خِفَّة من نفسه وأحس بأثقال قد وُضِعَت عنه، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا"(١)، يقول ﷺ: (وجُعلت قُرة عيني في الصلاة)(٢)، وقال ﷺ: (يا بلال: أقم الصلاة، أرحنا بها)(٣). كما أن أداء الصلاة في جماعة له أثر بالغ في التفاؤل؛ فإنّ اجتماع المصلين في المسجد – بالإضافة إلى ما يُلقى فيه من خُطب ومواعظ – يعتبر من الوسائل المهمة في تعزيز التفاؤل بين المصلين؛ فإنهم إذا رأوا إخوانهم، وعرف بعضهم

(١) الوابل الصيب، ابن القيم، ٢٢.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٤٠٦٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٢٩١).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، ٤/ ٢٩٦، رقم (٤٩٨٥)، وصححه الألباني.

أحوال بعض، أوجد بينهم تواداً وتعاطفاً وتعاوناً، فيساعد القادرُ المحتاجَ منهم، ويغيث ملهوفهم، فيبعث في نفوسهم الارتياح، ويقوي لديهم الطمأنينة، وهذه من أهم مقاصد الأخوة وأبرز أهدافها.

المسألة الثالثة: علاقة التفاؤل بالأخلاق(١): الإنسان لديه سلوك ظاهري وسلوك باطني، والسلوك الباطني مهم جداً، بل إن السلوك الظاهري ما هو إلا انعكاس للسلوك الباطني، ولهذا ركزت الأخلاق الإسلامية على السلوك الباطني في الدرجة الأولى(٢)، فإذا استقام باطن الإنسان استقام وصلح سلوكه الظاهري. ولهذا اعتنى الإسلام بتزكية النفس وتهذيبها، وتنمية فطرة الخير فيها، وما يتبعه من البشر والأمل والرجاء، وتطهيرها من نزعات الشر والإثم، وما يتبعه من اليأس والقنوط، السائقين إلى القلق والاكتئاب، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، ومتى حصلت في النفس هذه التزكية غدَت صالحة لغرس فضائل الأخلاق فيها، وتهذيب طباعها، وأصبحت محبة للخير، متحفزة إليه، داعية به، متوقعة لحصوله(٣).

ومن الأخلاق التي حث عليها الإسلام ولها علاقة قوية بالتفاؤل:

(١) الأخلاق جمع خلق، وهي صفة ثابتة في النفس، فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء، كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال، وإن خالف الهوى، وترك الباطل والشر والقبح، وإن وافق الهوى أو الشهوة. الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، ١/ ١٦.

(٢) فقد قال النبي ﷺ : (ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ١/ ٢٠، رقم (٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، ٣/ ١٢١٩، رقم (١٥٩٩).

(٣) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، ١/ ٣٩، ٥٦، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، د. مقداد يالجن، ٣٧، ٦٥، ٧٧.

- القول الحسن، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] والقول الحسن: هو كل قولٍ مُبْهِج مرغوب فيه، يظهر على اللسان، نتيجة لما استقر في الوجدان من الظن الحسن(١)، كما حث النبي ﷺ على الكلمة الطيبة وقول الخير، فقد روى أنس بن مالكٍ ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: (يُعجِبُني الفالُ الصَّالِحُ الكلمةُ الحسنةُ)(٢).

وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)(٣)؛ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضي قدماً لما يسعى إليه الإنسان، وتزيده طمأنينة وإقداماً وإقبالاً على العمل والجد، و"الكلمة الحسنة الطيبة" و"قول الخير" يتناولان مجالات كثيرة، ويدخل فيها التفاؤل دخولاً أولياً(٤).

- وهناك أخلاق حسنة كثيرة لها علاقة بالتفاؤل، مثل طلاقة الوجه وبشاشته، والحلم، والصبر، وعلو الهمة، وقوة الإرادة، كما أن للتفاؤل أثراً في حفظ المسلم من الأخلاق السيئة، مثل الحقد والحسد والعُبوس والجزع(٥).

وللأخلاق صلة بالإيمان وتقوى الله، قال النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(٦)، فربط بين الإيمان وإكرام الضيف؛ بأن يُتَلّقى بالبشر والسرور وإكرامه بقدر المستطاع، بل إن الشريعة الإسلامية – عقيدة وعبادة – مرتبطة بالأخلاق، فـ "الشَّريعةُ كلُّها

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ١١٨.
(٢) سبق تخريجه ص ٨ من البحث.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآداب، باب طيب الكلام، ٨/ ١١، رقم (٦٠١٨).
(٤) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، ١/ ٥٧٠.
(٥) ينظر: متفائلون، القصير، ٣٩، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لمجموعة من الباحثين، ٧/ ٢٦٩٩، ٨/ ٣٢٧١.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ٨/ ١١، رقم (٦٠١٨).

إنما هي تَخَلُّقٌ بمكارم الأخلاق"[١]. فهي تسري في كيان الإسلام كله، وفي تعاليمه كلها؛ في العقائد والعبادات والمعاملات، في السلم والحرب.

المطلب الثالث: الحكم الشرعي للتفاؤل، وعلاقته بالعمل وبذل الأسباب

المسألة الأولى: الحكم الشرعي للتفاؤل

التفاؤل مشروع في الإسلام، ومندوب إليه بشكل عام، وقد صرح ابن القيم [ت: ٧٥١هـ] بـ "جواز التفاؤل، بل استحبابه"[٢]؛ لما فيه من الاستجابة لتوجيهات الشريعة الحاثة عليه[٣]، والاقتداء بالنبي ﷺ الذي كان متفائلاً في أحواله كلها، وكان يُعجبه الفأل، ودَرَج على ذلك صحبه الكرام والتابعون وسلف الأمة[٤]. وقد امتدح الإسلام التفاؤل، وعظّم آثاره في النفس والمجتمع، وجعله علاجاً لما شاع في الجاهلية من التشاؤم والتطيّر، لا سيما عند الأزمات والكوارث الطبيعية.

أما إذا ترك المسلم التفاؤل واستسلم للتشاؤم واليأس والقنوط، وترتب على ذلك سوءُ حالته النفسية، وتعدّى الأمر إلى سوء حالته الصحية حتى وصل به الحال إلى اليأس والقلق[٥] والاكتئاب[٦]، الذي سيؤدي – في الغالب – إلى جلطة دماغية، أو ذبحة صدرية؛ فالتفاؤل

(١) الموافقات، الشاطبي، ٢/ ١٢٤.
(٢) زاد المعاد، ابن القيم، ٣/ ٣٠٨.
(٣) كقوله ﷺ: (يُعجِبُنِي الفالُ الصَّالِحُ الكلمةُ الحسنةُ). وقد سبق تخريجه ص٨ من البحث.
(٤) ينظر: التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله، صفاء التكينة، ١٠٣ وما بعدها .
(٥) القلق: هي حالة نفسية وفسيولوجية تتركب من تضافر عناصر إدراكية وجسدية وسلوكية؛ لخلق شعور غير سار يرتبط عادة بعدم الارتياح والخوف أو التردد. موقع ويكيبيديا على شبكة المعلومات العالمية، و ينظر: القلق، موشي زيدنر ورفيقه، ١٥.
(٦) الاكتئاب: هو وجودُ خللٍ يؤثر على التوازن العاطفي والنفسيّ والتوازن الجسدي للإنسان، وعلى ثقته بنفسه، وطريقة رؤيته للأمور من حوله. موقع: "موضوع" على شبكة المعلومات العالمية https://mawdoo3.com.

وترك اليأس هنا يكون واجباً؛ دفعاً للضرر، وحفظاً للنفس من الهلاك، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويكون ترك التفاؤل في هذه الحالة محرماً(١).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن اليأس من رحمة الله كفرٌ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وبيّن ابن كثير [ت: ٧٧٤هـ] أن الله خاطب المؤمنين في هذه الآية: «ونهَضَهم وبشّرَهم وأَمَرَهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون»(٢). وبعد أن ذكر الآلوسي [ت: ١٢٧٠هـ] رأيَ بعض العلماء بكفر من يئس من رحمة الله، عقّب بقوله: «وجمهور الفقهاء على أن اليأس كبيرة، ومفاد الآية أنه من صفات الكفار، لا أن من ارتكبه كان كافراً بارتكابه»(٣)؛ وعلّل لذلك ابن جزي [ت: ٧٤١هـ]، فقال: «إنما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلاً بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته»(٤).

وإذا كان اليأس من صفات الكافرين، فإن الفأل من صفات المؤمنين، وهو ما يشير إلى وجوبه خصوصاً إذا انضم إلى ذلك أثره في حفظ النفس، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة(٥).

المسألة الثانية: علاقة التفاؤل بالعمل وبذل الأسباب

تقدم معنى التفاؤل، وأنه توقع المسلم الخيرَ فيما يطرأ عليه من ظروف وأحوال، وهذا

(١) ينظر في تفصيل ذلك: التفاؤل وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب ص ٨ .
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٠٦.
(٣) تفسير روح المعاني، الألوسي، ٧/ ٤٣.
(٤) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ١/ ٣٩٥.
(٥) ينظر في تفصيل ذلك: التفاؤل وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب ص ٨ .

مشروط باقترانه بالعمل[١]؛ فإن التفاؤل لا يعني –بحال من الأحوال– ترك الأخذ بالأسباب، فإنه إنما يكون مشروعاً وتترتب عليه آثاره إذا اقترن به عملٌ نافعٌ بنّاء، وبَذَل المتفائلُ الأسبابَ واجتهد في تحصيلها، فالفأل الحسن يرتبط بالعمل ارتباطاً وثيقاً[٢]، فكما أن الفأل الحسن عبادة يثاب عليها في الآخرة؛ لأن فيه استجابة لتوجيهات الشريعة، فإنه أيضاً يبعث على استشراف المستقبل والتخطيط العلمي له، ويدعو إلى العمل والنشاط والجدّ، بما يحدثه في نفس المتفائل من يقين واطمئنان وثبات وعزيمة وتطلع للأفضل، وليس التفاؤل عُدة الكسالى والقاعدين والمتواكلين، وليس مقابلاً للعملِ والتخطيط المناسب وبذلِ الأسباب المعهودة في الأعمال، ولا هو تجميد للطاقات وتثبيط للعزائم.

والله تعالى الذي شرع الفأل الحسن وحث عليه، لم يُرد تعطيلَ الأسباب في الكون، وإنما شرع العمل أيضاً، وجعل لكل شيء سبباً فأتبع سبباً، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، ويقول أيضاً: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، فالعمل فيه استجابة لأمر الله أيضاً.

وقدوتنا محمد ﷺ لم يكن تفاؤله مجرد أمنيات تُتخذ مسوغاً وَتُكَأة للقعود، وذريعة للتخاذل والتقاعس، بل كان تفاؤلاً يصحبه يقينٌ، وعزمٌ راسخٌ يعمّق الثقة بالنفس، ويزرع الأمل لمستقبل مشرق، ويحفزُ الهمة والنشاط، ويدعو إلى العمل والمثابرة، والجد والاجتهاد،

(١) العمل: هو كل مجهود بدني أو ذهني مقصود ومنظم يبذله الإنسان لإيجاد منفعة أو زيادتها. مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، لسعيد مرطان، ٨١.

(٢) ينظر: استراتيجية التفاول ، د. عبدالقدوس السامرائي ٤٣، إحسان الظن بالله تعالى، د. فهد الفهيد، ١٣.

ولا شك أن هذا من أهم مقومات النجاح(١).

وقد كان ذلك هدي سلفنا الصالح فكانوا يقرنون الفأل بالعمل، ولم يركنوا إليه أو إلى الأمل والرجاء بلا عمل، ونقل عن كثير منهم التصريح بذلك، قال ابن القيم [ت: ٧٥١هـ]: «ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل»(٢).

كما حذر تعالى من الاغترار بالأمل من غير أن يصحبه عمل، فقال تعالى: ﴿وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]: أي: «ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد»(٣).

المطلب الرابع: معنى الأدعية المأثورة

أبدأ ببيان معنى "الأدعية" وأثنى ببيان معنى "المأثورة"، وذلك فيما يلي:

أولاً: معنى "الأدعية" في اللغة وفي الاصطلاح

"الأدعية" في اللغة: جمع دعاء، ومادة "د ع و" تدل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام منك(٤)، وللدعاء في اللغة معان كثيرة، منها: العبادة، كما في قوله تعالى:﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، والاستغاثة، كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] أي: استغيثوا بشهدائكم(٥)، وطلب حضور المدعو، كما فسّر بعضهم المقطع السابق من الآية(٦)، والسؤال والطلب، كقولهم:

(١) ينظر: تفاؤله ﷺ في الأزمات، للدويش، ص٤، استراتيجية التفاول، د. السامرائي، ٤٤.
(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ٣٧.
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٣/ ٢٠٦.
(٤) ينظر مادة "دع و" في: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٧٩ .
(٥) ينظر : زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٥٠.
(٦) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ١٩٨.

دعوتُ اللهَ أَدْعُوه دُعاء، أي: سألته ورغبت فيما عنده من الخير[١]، وهذا المعنى هو المراد في هذا البحث، وإن كانت المعاني الثلاثة السابقة متقاربة له، فإن فيها معنى السؤال والطلب.

"الأدعية" في الاصطلاح: ذكر العلماء للأدعية عدة معان[٢]، منها :

- إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له[٣].
- استدعاء العبد ربَّه العنايةَ، واستمدادَه منه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة[٤].
- التضرع إلى الله والافتقار إليه بطلب تحقيق المطلوب أو دفع المكروه بصيغ السؤال والخبر[٥].

وهي معان متقاربة، وإن كان المعنى الأخير أوضح.

وقوله: " بصيغ السؤال والخبر" لأن الدعاء تارة يكون بصيغة الطلب والسؤال، وهو الأغلب، وتارة يكون بصيغة الخبر[٦] ، مثل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ثانياً: معنى "المأثورة" في اللغة وفي الاصطلاح

"المأثورة" في اللغة : من الأَثَر، وهو بقية الشيء، وخرَجْت في إِثْره وفي أَثَره، أَي: بَعْده،

(١) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ١١/ ٩٤ ، مادة "دع و" في: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٢٥٧، المصباح المنير، الفيومي، ١٩٤.
(٢) ينظر في معنى الدعاء : بدائع الفوائد، ابن القيم، ٣/ ٥١٣، الدعاء، عبدالله الخضري، ٢١.
(٣) ينظر : فتح الباري، ابن حجر، ١١/ ٩٥.
(٤) ينظر : فيض القدير، المناوي، ١/ ٢٢٨.
(٥) ينظر : الدعاء وأحكامه الفقهية، المهيزع، ٣٨، ٥٤ .
(٦) ينظر : المرجع نفسه.

وأْتَثَرْتُه وتَأَثَّرْته: تتبَّعْت أَثَرَه، والأَثَر بالتحريك: ما بقي من رَسْم الشيء، ومنه يقال لسنن النبي ﷺ: آثاره، ومن هذا قيل: حديث مأْثور، أَي: يُخْبِر الناسُ به بعضُهم بعضاً[١].

"المأثورة" في الاصطلاح: معنى المأثورة في الاصطلاح قريب من معناها في اللغة، حيث يعرف العلماء الأدعية المأثورة، بأنها ما ينقله الخلف عن السلف[٢] ، فتشمل ما ورد من الأدعية مرفوعاً أو موقوفاً على الصحابة والتابعين، وما ورد عن الأئمة المشهورين، أما ما عدا ذلك مما يدعو به الناس فليس بمأثور[٣].

إلا أني في هذا البحث اعتمدت الأدعية الواردة في القرآن، والسنة الواردة عن النبي ﷺ، فيكون المراد بالأدعية المأثورة في هذا البحث: الأدعية الواردة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية التي يحتج بها.

وللذِّكْر علاقة وثيقة بالدعاء، فيحسن بيان معنى الذكر، وتوضيح العلاقة بينه وبين الدعاء.

ذكر العلماء للذكر معاني متقاربة، منها : تمجيدُ اللهّ تعالى وتقديسُه وتسبيحُه وتهليلُه والثَّنَاءُ عليه بجميع مَحامِدِه[٤] .

وبالنظر في معنى الدعاء ومعنى الذكر تتضح العلاقة بينهما، حيث إن الدعاء ذكرٌ للمدعو سبحانه؛ لأنه متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه[٥]، فهو ذكر وزيادة،

(١) ينظر مادة "أثر" : لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٥، مختار الصحاح، الرازي، ٥ .
(٢) ينظر : التعريفات الجرجاني، ١/ ٢٩، وينظر: التوقيف في مهمات التعاريف، المناوي، ١/ ٣٣.
(٣) ينظر : الدعاء وأحكامه الفقهية، المهيزع، ٧٩.
(٤) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٢/ ٤١.
(٥) كما في قوله ﷺ: (أفضل الدعاء الحمد لله). أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، ٥/ ٤٦٢، رقم (٣٣٨٣)، وحسنه الألباني .

والذكر يتضمن الطلب فهو دعاء[١]، إلا أن الذكر بمعنى الثناء على الله تعالى وتمجيده وتقديسه أفضل من دعاء المسألة والطلب[٢] من حيث الجملة؛ لأن "الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟"[٣] .

وفي هذا البحث سأقتصر على إيراد الأذكار التي تتضمن الدعاء؛ ليناسب عنوان البحث، حيث إنني قصرته على الأدعية المأثورة.

المطلب الخامس: أهمية الأدعية المأثورة وعناية الإسلام بها

للدعاء أهمية عظيمة، فقد أمر الله عباده بدعائه وسماه عبادة، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو مظهَر من مظاهر العبودية التامة لله، وفي الدعاء امتثال لأمره تعالى، وتحقيق لما يحبه[٤]، يقول النبي ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه)[٥]، وفيه إظهار الافتقار إليه والاستعانة به،

فسمى الحمد لله دعاء، وهو ثناء محض؛ لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه. ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥/ ١٩، بدائع الفوائد، ابن القيم، ١/ ٩، الدعاء وأحكامه الفقهية، المهيزع، ٤١.

(١) ينظر : شأن الدعاء، للخطابي ٤ ، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٥/ ١٩، بدائع الفوائد، ابن القيم، ١/ ٩، تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، ٦، الدعاء وأحكامه الفقهية، المهيزع، ١/ ٤١.

(٢) معنى دعاء المسألة والطلب : طلب ما ينفع، أو طلب دفع ما يضر، بأن يسأل الله ما نفعه في الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة. ينظر : بدائع الفوائد، ابن القيم، ٣/ ٥١٣.

(٣) الوابل الصيب، ابن القيم، ١/ ١٢٠، وينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/ ٦٦٠، ٢٢/ ٣٨٩، زاد المعاد، ابن القيم، ١/ ١٩٤.

(٤) ينظر : مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/ ١٠٣.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، ٥/ ٤٥٦،

والتبرؤ من الحول والقوة، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: (الدعاء هو العبادة[١])[٢]، وهو يزيد المسلم معرفة بعظمة ربه وكماله وجلاله وقيّوميّته، وبه يعرف نفسَه بالضعف، فهو يُصلح باطن العبد، وينقذه من أدواء الأمراض كالكِبر والغرور، فالله "تعبّد العباد بالدعاء؛ ليستخرج الدعاءُ منهم صفاءَ الذكر وخشوعَ القلب ورقةَ التضرع، ويكون ذلك جلاءً للقلب"[٣]، ومن يتأمل الأدعية المأثورة التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يجدها تمتاز بأمور كثيرة، منها :

١. السلامة والأمان من الوقوع في الخطأ والزلل في الدعاء[٤] ، فإن "باب الدعاء مظنة للخطر، وما تحت قدم الداعي دَحْض[٥]، فليحذر فيه الزلل، وليسلك فيه الجُدَد[٦] الذي يؤمن معه العَثار))[٧]، والأدعية المأثورة معصومة من ذلك؛ لأنها وحي الله وتنزيله[٨]، ((فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها

رقم (٣٣٧٣)، قال الشيخ الألباني: "حسن" وصححه الحاكم في المستدرك، ١/ ٦٦٨، رقم (١٨٠٧)، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، ٥/ ٢١١، رقم (٢٩٦٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) ينظر : شأن الدعاء، الخطابي، ٤.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/ ٣٥٤ .

(٤) مثل أن يدعو بما يستحيل حصوله شرعا، أو يدعو بمعصية، أو يتكلف السجع في الدعاء.
ينظر : فتح الباري، ابن حجر ، ٨/ ٢٩٨، فيض القدير ، المناوي، ٤/ ١٣٠ .

(٥) دحض : أي : زلق .
ينظر : مادة " دحض" في : القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٨٢٨، مختار الصحاح، الرازي، ٢١٨.

(٦) الجُدَد : جمع الجُدَّة، وهي الطرق، أو الطُّرُق تكون في الجبال.
ينظر : مادة "جدد" في: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ١٠٧، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٣٤٦.

(٧) شأن الدعاء، الخطابي، ٣.

(٨) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، البدر، ١/ ٣١٩.

على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان))[١]؛ لأن الداعي بأسلوبه قد يعتدي في دعائه(٢)، فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، ورسول الله ﷺ يقول: (سيكون قوم يعتدون في الدعاء)[٣]، قال العلماء: "هو الخُروج فيه عن الوَضْع الشَّرعي والسُّنّة المأثُورَةِ"[٤].

٢. كمال هذه الأدعية في مبناها ومعناها، فألفاظها وعباراتها موجزة مختصرة، ومعانيها ودلالاتها عظيمة واسعة، مشتملة على المقاصد العالية، والمطالب العظيمة، والخيرات العميمة[٥]، مع "غاية الاختصار، وحسن البيان"[٦].

٣. اشتمال الأدعية المأثورة على لغة غنية، وأدب جميل؛ ذلك أن مصدرها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم[٧]، فالدعاء المأثور يمثل واحداً من أرفع أساليب البلاغة العربية الناصعة، والتعبيرات العذبة، والمتأمل في الأدعية المأثورة يجدها

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ٢/ ٢١٤.

(٢) من أمثلة الاعتداء في الدعاء ، والأدعية غير المشروعة:
- دعاء غير الله تعالى، أو الابتداع في الدعاء.
- أن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات.
- أو يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو أن يطلعه على غيبه أو يسأله أن يجعله من المعصومين. ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، ٣/ ٥٢٤، تصحيح الدعاء، بكر أبي زيد، ٦١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء، ١/ ٤٦٦، رقم (١٤٨٠)، قال الشيخ الألباني: "حسن صحيح".

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/ ٤٢١.

(٥) ينظر : شأن الدعاء، الخطابي، ٢-٣ ، فقه الأدعية والأذكار، البدر، ١/ ٣١.

(٦) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١/ ٥٧.

(٧) جوامع الكلم: الأقوال الوجيزة ذات المعاني الكثيرة، التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة بنظم لطيف لا تعقيد فيه. ينظر: فيض القدير، المناوي، ١/ ٥٦٣، ٤/ ٣٣٥ .

كنـزاً لغوياً حافلاً بالمفردات الفصـيحة، والتراكيـب البليغـة، وخزينـة غنيـة بالمعـارف العقلية، تأمل –مثلاً– قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم، أو أجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ)(١)، فقد "استعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، وروعي المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية"(٢) .

٤. إن الدعاء المأثور إذا كانت صفته ما تقدم ، فهو من أوقع الكلام في الكشف عن مكامن الضمائر، ومـرادات النفـوس، ومتطلبـات الأرواح، مـع إبـداع في اسـتخدام أسـاليب الاستدعاء والرجاء والاعتذار، في حال العسر واليسر، والاضطرار والرخاء ، وقد كان النبي ﷺ يسأل ربه، قائلاً: (اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء)(٣) .

٥. إن الأدعية المأثورة بما اشتملت عليه من رجاء لأمور حسنة، واستعاذة من أمـور سـيئة، فيها تعليم للأمة بأن تتطلب هذه الأمور الحسنة، وتترك الأمـور القبيحـة التـي وردت الاستعاذة منها(٤)، فهي في الحقيقة وسائل تربوية ناجحة، وبخاصة مع تكرارها صـباحاً ومساءً، أو عند كل خروج من المنزل ودخول إليه، فإن الله تعـالى ورسـوله الكـريم ﷺ يرشدوننا إلى تربية أنفسنا على ما تضمنته هذه الأدعية المأثورة، مثل التفاؤل وترك الهـم والحزن، والجدّ في العمل وترك الكسل، والتخلّق بـالأخلاق الحسـنة وتـرك الأخـلاق السيئة، فما ورد – مثلاً – من استعاذته ﷺ من الجنّ ونحو ذلك مما حُفـظ عنـه ﷺ فيـه

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، ٢/ ٧٤٦ ، رقم (٥٠٩٤)، وصححه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٩/ ٢٧٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٧٠١ ، رقم (١٩١١)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

(٤) ينظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ٣/ ٤٦٦.

"تعليم للأمة، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام محفوظ من الجن والإنس"[١].

ولهذا كان النبي يعلّم أهله وأصحابه ﷺ الأدعية، ودرج على ذلك صحبه الكرام[٢]، واعتنى أهل العلم بجمعها في مؤلفات مستقلة[٣]؛ لتكون بين أيدي الناس وفي متناولهم، ورغبوا الناس في الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء بهذه الأدعية في أقوال نُقلت عنهم[٤].

المطلب السادس: علاقة الأدعية المأثورة بالتفاؤل

حرص الإسلام على أن يربي المسلمين على التفاؤل، وأن يجعل هذا العمل الجليل عادةً سلوكية تتغلغل في نفوسهم، وتكون بمثابة الخُلُق الفطري لهم - كما هو الشأن في كل عمل خيّر-[٥]، وقد ذكر المختصون في التربية أن هناك عناصر ثلاثة إذا اجتمعت في عملٍ من الأعمال أصبح عادة، وإذا نقص واحد من هذه العناصر، فإنه يحول دون التعوّد على العمل، وهي:

- "العنصر الأول: المعرفة النظرية بالشيء المطلوب عمله.
- العنصر الثاني: الرغبة، وذلك بتوفير الدافع والحافز والميل النفسي لعمل هذا الشيء.
- العنصر الثالث: المهارة، أي المقدرة على عمل هذا الشيء، والتمكن فيه"[٦].

فإذا أردنا أن نعوّد شخصاً على التفاؤل، فلابد أن نُعرّفه بالتفاؤل، ونقنعه بأهميته في

(١) عمدة القاري، العيني، ٢/ ٢٧٢ ، عون المعبود، العظيم آبادي، ٤/ ٢٨١ .
(٢) ينظر: أثر الأدعية المأثورة في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب، ٢٨.
(٣) كما وضحته في "الدراسات السابقة"، ص٤ .
(٤) ينظر: أثر الأدعية المأثورة في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب، ٣٢.
(٥) ينظر: الأخلاق الإسلامية، الميداني، ١/ ٢٠٥. وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : (تعودوا الخير فإنما الخير بالعادة). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٩/ ١٥١، رقم (٨٧٥٥). قال الهيتمي: "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد، الهيتمي، ٢/ ١٠١.
(٦) العادات العشر للشخصية الناجحة، د. إبراهيم القعيد، ٣٢.

حياتنا وآخرتنا، ونوجد لديه الرغبة الأكيدة والدافع القوي إليه[١]، ونزوّده بمهاراته، ونروّضه وندرّبه عليه، ونكرر ذلك عليه في مواقف متعددة، وعندما تجتمع هذه العناصر الثلاثة لدى الشخص، يصبح التفاؤل لديه عادة.

وقد اهتم الإسلام بهذه العناصر الثلاثة في موضوع التفاؤل، فوضّح النبي ﷺ المراد به، وحثّ أمته عليه، وأبان لهم أهميته بأساليب متنوعة، وكان يعجبه الفأل الحسن، وتمثّله – وهو القدوة لأمته – واقعاً معاشاً في حياته، مع أنه حوصر وأُوذي وأُخرج من بلده، وإذا تتبعنا نصوص الشريعة ومقاصدها وقواعدها وجدنا أن الوسائل المعينة على التفاؤل كثيرة، من أبرزها الأدعية المأثورة، فإن لها أثراً بالغاً في تعزيز التفاؤل لدى المسلم، وفي نشر ثقافته بين أفراد المجتمع، وتميزت بأن غالبها يتكرر في اليوم والليلة وفي مواقف متعددة، تشمل معظم حالات الإنسان؛ فقد تضمنت أذكار الصباح والمساء – على سبيل المثال – كثيراً من الأذكار والأدعية التي تبين عظمة الله وقدرته، وتدعو للتوكل عليه، وحسن الظن به، والثقة بقدرته وقوته وقيوميته وكرمه ومعيته، وتُظهر عبودية المسلم وافتقاره ولجأه إليه سبحانه، ورضاه بقضائه، فتمنحه رضاً وراحة وأمناً واطمئناناً، وتبعث في نفسه الرجاء بالاستجابة لدعائه، وتيسير أموره، وشموله بحفظ الله وكَنَفِه؛ لأنه يأوي إلى من بيده الخير والقوة والعظمة سبحانه وتعالى. كما أن الإنسان إذا حدّث نفسه وأسمعها العبارات المفرحة، والتأكيدات المطمئنة، وكررها صباحاً ومساءً[٢]، أصبح سعيداً، قويَ العزيمة، ثابتَ القلب، واثقاً من

(١) ينظر في أهمية التفاؤل وفوائده: تفاؤله ﷺ في الأزمات، الدويش، ٤١، التفاؤل والتشاؤم، الأنصاري، ٢٠، ٥٤، ٥٩.

(٢) فقد وردت أدعية للصباح وللمساء، وعند الخروج من المنزل، وإذا دخله، وإذا دخل السوق، وإذا أوى إلى فراشه، وإذا رأى الهلال، وإذا أصابته مصيبة، وإذا رأى الريح، وسيأتي تفصيل ذلك وغيره في المبحث الثاني من هذا البحث.

نفسه، وسيساعده ذلك في إبراز أفضل إمكاناته، وسينجز أعماله ويحقق أمانيه على أكمل وجه[١]، مع بذله الأسباب المؤدية إلى نجاح العمل، والتخطيط والتفكير في كل ما يساعد على نمائه وتطويره؛ فإن الدعاء – كالتفاؤل – مرتبط بالعمل ارتباطاً وثيقاً، فكما أنه عبادة يثاب عليها في الآخرة، فإنه أيضاً يبعث على النشاط والجدّ، بما يحدثه في نفس الداعي من يقين واطمئنان وثبات وعزيمة، وليس الدعاء عُدة الكسالى والقاعدين والمتواكلين، وليس مقابلاً للعملِ وبذلِ الأسباب[٢].

وإن من المقاصد المرجوة من الأدعية المأثورة الواردة في أحوال المسلم المختلفة، تربيته على ما تضمنته هذه الأدعية والأذكار من المعاني الجامعة والمقاصد العالية المتضمنة طلب المصالح العاجلة والآجلة التي تشجعه على التفاؤل، وتجسّد فيه الرغبة في العِيشة الهنية، والسلامة من كل بلاء ومصيبة.

فالأدعية المأثورة – إذن – وسيلة مهمة من الوسائل المساعدة على التفاؤل، سواء في ذاتها؛ كونها تشتمل على عبارات باعثة على التفاؤل، فهي – في غالبها – صادرة من سيد المتفائلين ﷺ، وفيها تتجسد رغبات النفس، وهذه العبارات الطيبة تدل على ارتياح قائلها واطمئنانه ورضاه. أو في كونها تنمّي الوسائل الأخرى المساعدة على التفاؤل، مثل الاستعانة بالله والرضا بقضائه، وحسن الظن به، والتوكل عليه، فعلى المسلم أن يرتب لنفسه ورداً يومياً من الأدعية المأثورة[٣]، وبخاصة في الأزمات والحوادث؛ فإن الله تعالى ما ابتلى المسلم إلا لأنه يحب سماع صوته بالدعاء، فعليه أن يتوجه إليه سبحانه، ويطرح بين يديه، ويظُنّ به خيراً،

(١) ينظر: كتاب قوة التفكير الإيجابي، نورمان، ١٠٣، ١٠٤.
(٢) ينظر: أثر الأدعية المأثورة في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب، ٢٠٥.
(٣) هذا بالإضافة إلى قراءة القرآن الكريم، وبخاصة الآيات التي تبعث على الأمل والسعادة، وتُذكر بنعيم الجنة، وبإكرام الله لعباده وتأييده لهم. ينظر: استراتيجية التفاؤل، السامرائي، ١٣٨.

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، فسيهديه الله إلى الفأل الحسن وإلى الخير في الدنيا والآخرة.

وسأفصل أثر الأدعية المأثورة في تعزيز التفاؤل، ونشر ثقافته بين أفراد المجتمع، وذلك من خلال مطالب المبحث الثاني:

المبحث الثاني
أثر الأدعية المأثور في نشر ثقافة التفاؤل

المطلب الأول: أثر الأدعية المأثورة في التعويد على طلب الخير، والاستعاذة من الشر

التفاؤل توقُّع الخير، الناشئ عن حسن ظن المسلم بربه، المعزَّز بما وَقَر في قلبه من التوكل عليه والثقة به، المؤيَّدُ بما يقوله أو يسمعه من كلام حسن، والأدعية المأثورة تتضمن – في كثير منها – طلبَ الخير من الله، والاستعانة به في تيسير الحصول عليه؛ ((فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه .. وما أُتي من أُتي إلا من قِبَل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء ... ولا ظَفِر من ظَفِر – بمشيئة الله وعونه – إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء))[1].

والإسلام إنما حثنا على التفاؤل لما فيه من الخير، وحذرنا من التشاؤم لما فيه من الشرّ، وهذا الأمر مطّرد في كل توجيهات الإسلام؛ فإننا ((لو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة، لعلمنا أن الله أمر بكل خيرٍ دِقِه وجُلِّه، وزَجَر عن كل شر دِقِه وجُلِّه، فإن الخير يُعَبَّر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يُعَبَّر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح))[2].

وأذكر بعض الأدعية المأثورة التي تتضمن طلب الخير بشكل عام، أو طلبه في أمور مخصوصة، وذلك فيما يلي:

– أرشد النبي ﷺ صحابته بأن يُسمعوا أنفسهم الكلام الطيب، وأن يسمعوه لغيرهم في كل

(١) الفوائد، ابن القيم، ١٢٧/ ١٢٨.

(٢) قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، ٢/ ١٨٨، وينظر : إعلام الموقعين، ابن القيم، ٣/ ١٤.

حين، وأكد على ذلك عند كل صباح ومساء، فعن زيد بن ثابت ﷺ : (أن رسول الله ﷺ علَّمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح: لبيك اللهم لبيك، والخير في يديك ومنك وإليك اللهم)(١). وإذا سمع المسلم الكلمة الطيبة فإنه يرجو الخير، ويظنّ وقوعه، والله ﷻ عند ظنّ عبده به.

- وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده)(٢).
- وأخبرت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ علّمها هذا الدعاء : (اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك) الحديث(٣).
- وهذا الدعاء "من جوامع الكلم ... وفيه تنبيه على أن حق العاقل أن يرغب إلى الله أن يعطيه من الخيور ما فيه مصلحته مما لا سبيل بنفسه إلى اكتسابه"(٤). وفيه حسن ظن بالله تعالى أن يمنحه الخير العميم.
- كما أرشد المسلم إذا تزوج امرأة أو اشترى دابة أن يستعين بالله في أن يرزقه خيرهما، ويستعيذ به من شرهما، فيكون ذلك تفاؤلاً بحصول الخير المرجو من المرأة أو من غيرها،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٦٩٧ ، رقم (١٨٥٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، ٧/ ٤١٧، رقم (٥٠٨٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، ٢/ ١٢٦٤، رقم (٣٨٤٦)، وصححه الألباني.
(٤) فيض القدير، المناوي، ٢/ ١٢٨.

فيقول: (اللهم إني أسالك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه، وليقل مثل ذلك)[١].

- وأُثر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد دخول قرية يقول حين يراها: (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها)[٢] ؛ وإذا قال المسلم هذا الدعاء المتضمن لهذه المعاني الطيبة والمقاصد الجليلة، تهيأت نفسه للتفاؤل بحصوله على خير ما عند أهل القرية من الإيمان والصلاح والاستقامة والتعاون على الخير، ونحو ذلك، وييسر له خير ما فيها من المساكن والمطاعم وغير ذلك[٣].
- وتشتد الحاجة إلى التفاؤل أثناء حصول الأزمات، ولذلك وجه النبي ﷺ المسلم بأن يسأل الله الخير في حوادث قد يحصل منها ضرر، كما في الدعاء الوارد عند الريح: (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها ....) الحديث[٤].
- كما شرع الإسلامُ الاستخارةَ، وكان النبي ﷺ يعلّمها لأصحابه كما يعّلمهم السورةَ من القرآن، فإذا أراد المسلم القدومَ على أي أمر ذي بال، صلّى ركعتين من غير الفريضة يقرأ فيهما بالفاتحة وما تيسر من القرآن، ويسأل ربه أن يختار له ما فيه الخير له في دينه ودنياه،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ٣/ ٤٨٨، رقم (٢١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ١٢٣، رقم (٣٤١).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان) كتاب الصلاة ، باب المسافر، ٦/ ٤٢٥، رقم (٢٧٠٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن .
(٣) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، البدر، ٢/ ٢٧٩.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، ٢/ ٦١٦، رقم (٨٩٩).

داعياً بقوله: (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته)[١].

المطلب الثاني: أثر الأدعية المأثورة في التفاؤل بالعيش الحميد، والأمن والأمان

إن الأدعية المأثورة بما اشتملت عليه من رجاء لأمور حسنة خيّرة، واستعاذة من أمور سيئة شريرة، لها أثر واضح على إيجاد بيئة متفائلة بعيشٍ حميدٍ، آمنٍ، مشجعٍ على السلوك الإيجابي، المحرِّكِ لطاقات الإنسان نحو العمل والجدّ؛ لذا فإنه لابد من إحياء التفاؤل وإشاعته في مجتمعنا، وإذا حافظ المسلمون على أورادهم في الأدعية المأثورة ساعدهم ذلك على نشر ثقافة التفاؤل بينهم، وأسهم في إيجاد مجتمع متعاون قوي متماسك، يستحضر أبناؤه الهمة في مواجهة الأحداث والخروج من الأزمات، وينهضون به في مجالات التنمية والإعمار كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١][٢]؛ فإن من أهم صفات المتفائلين أنهم متحابون متعاطفون متكاتفون مثابرون على العمل[٣].

وقد ذكر بعض العلماء أن من فوائد الذكر والدعاء أنه يجلب للقلب الفرَح والسرور، وهو سبب في تنزل السكينة وغشيان الرحمة، وهو جلابٌ للنعم، دافعٌ للنقم، يسهِّل الصعب،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، ٨/ ٨١، رقم (٦٣٨٢).
(٢) أي: جعلكم تَعْمُرونها، أو طلب منكم عمارتها. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٥٦.
(٣) ينظر: تفاؤله ﷺ في الأزمات، الدويش، ٤١، التفاؤل وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر الخطيب ص٥١ .

ويُيسر العسير، ويخفّف المشاق، ويفرّج الكرب، ويُزيل الهم والغم عن القلب، ويقوّي القلبَ والبدن، وله تأثير عجيب في حصول الأمن وزوال المخاوف(١)، وهذه الأمور – بلا شك – تقوي لدى المسلم الدافعيةَ نحو التفاؤل، واستثارة عناصر السعادة التي تكمن في داخله، وتمكّنه – بما وهبه الله من عقل سليم وقلب مطمئن – من وضع الخطط الحياتية الصحيحة، ولاسيما التي تتسم بالنظرة الإيجابية للأمور؛ فقد أظهرت دراسة علمية أن درجة التفاؤل تتأثر بالعلم والمعرفة والخبرة الذاتية للإنسان، وقوة الدافعية لديه نحو التفاؤل(٢)، والنظرة المتفائلة عنصر مهم للنجاح في أي عمل يقوم به؛ فحينما يتوقع الأفضل فإنه يبرز أحسن ما لديه من القدرات والطاقات والإمكانات العلمية والعملية.

ومما ورد من الأدعية المأثورة التي تؤكد ما ذكره العلماء ويسهم في إيجاد البيئة المتفائلة، ما يأتي:

- حثت الشريعة أن يُدعى للابس الثوب الجديد بـ (البَسْ جديداً، وعِشْ حَميداً، ومُتْ شهيداً)، قال الراوي: أظنه قال: (ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرةَ)(٣).
- وقد تضمن هذا الحديث الدعاء للابس الثوب بالعيش الهنيء، ثم الموت شهيداً، وهذا مما يبعث في نفس سامعه التفاؤلَ بحياة طيبة هانئة، كما يعوّد قائله على أن يقول للناس كلاماً حسناً يُدخل عليهم الفرحَ والسرور.
- كما أرشدت الشريعة كلّ من استصعب أمراً أن يدعو بما روى أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

(١) ينظر: الوابل الصيب، ابن القيم، ٤٣ – ٧٧.
(٢) ينظر: استراتيجية التفاؤل، د. السامرائي، ١٣٢، التفاؤل والتشاؤم، الأنصاري، ٢٤.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٥/ ١٤٤، رقم (٥٦٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ٢٦٧، رقم (١٢٣٤).

(اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت)[١] .

- والمعنى: اللهم لا يليّن الأمر الصعب ولا يهوّنه إلا أنت، فلا تحصل السهولة والليونة إلا إذا أردت، فسهّل أمورنا كلها[٢]، ويسّر لنا تحصيل أسباب الرزق، ووفقنا لأصلحها وأنفعها.
- وهذه العبارات تبعث على التفاؤل، وتكرارها يجعلها مغروسة في نفس الداعي، وعادة راسخة لديه.
- وكان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال : (اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله)[٣] .
- ونلحظ في هذا الدعاء أن الإسلام ربط بين الأمن والإيمان وبين السلامة والإسلام[٤]؛

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان)، ٣/ ٢٥٥، رقم (٩٧٤)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) ينظر : شرح حصن المسلم، مجدي أحمد، ١٨٩.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان)، ٣/ ١٧١، رقم (٨٨٨)، قال شعيب الأرنؤوط : "حديث صحيح لغيره"، وأخرجه بنحوه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال،، ٥/ ٥٠٤، رقم (٣٤٥١)، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، قال الشيخ الألباني: "صحيح".

(٤) وقد تضافرت نصوص الشريعة المؤكدة على الربط بين الأمن والإيمان، ومن تلك النصوص: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١/ ١٣، رقم (١٠). وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم). أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٥/ ١٧، رقم (٢٦٢٧)، وقال : "هذا حديث حسن صحيح".

لأنها تَهَب المسلم شعوراً بالأمن والاطمئنان، وتكسبه مناعة ووقاية من القلق والخوف ونحو ذلك مما يسلب الأمن، كما تساعده على الشفاء من هذه الأمراض لو حصلت له[١]، فالإنسان ضعيف قد يحطمه اليأس والألم، والجوع والفقر، فيضطرب أمره، ويضيق عيشه، وتتنغص حياته، وقد يزيّن له الشيطان أعمالاً خطيرة، كالقتل العمد، وسرقة الأموال المحرمة، والعلاج لكثير من هذه الأمور هو الإيمان بالله، والاستقامة على دينه، والاستغناء بالحلال عن الحرام، والحذر من الأهواء والشهوات وما ينجم عنها من المعاصي والجرائم[٢]، ولهذا فإنه ﷺ (نبه بذكر "الأمن والسلامة" على طلب دفع كل مضرة، و"بالإيمان والإسلام" على جلب كل منفعة، على أبلغ وجه وأوجز عبارة)[٣] ؛ لأن "نعمة الإيمان والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها"[٤].

- كما حرصت الشريعة على بث الروح المتفائلة في الصباح والمساء، فقد ورد أن النبي ﷺ لم يكن يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهُمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة، اللهُمَّ إنِّي أسألك العفو والعافيةَ في ديني ودُنياي وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي)[٥] .
- فالمسلم – في هذا الدعاء – يلتجئ إلى الله أن يسلّمه من الشبهات بأن يهديه للحق،

(١) ينظر : الأمن النفسي عند المؤمنين، د. عبدالغني الغامدي، ٢٣.
(٢) ينظر: أخلاق المسلم ، د . وهبة الزحيلي، ٤٩٨، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د . عبدالرحمن السديس، ٢٦، ٢٧، الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه، د . جميل القرارعة، ٢٠.
(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٩/ ٢٩١.
(٤) فيض القدير ، المناوي، ٥/ ١٣٥.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب دعوات النبي ﷺ ، ٢٤٣، رقم (٦٩) وصححه الألباني، وابن ماجة في سننه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، ٢/ ١٢٧٣، رقم (٣٨٧١)، وصححه الألباني.

ويوفقه لترك الشهوات، ويحميه ويحمي أهله وماله من الأمراض والآفات والأسقام، وإذا أصيب بها فيستعيذ بالله من عدم الصبر عليها والرضا بقضائها، ويطلب منه سبحانه أن يؤمّن خوفَه من المصائب والشدائد التي تجعله يخاف وينزعج ويقلق، وربما أدت به إلى أمراض نفسية كالاكتئاب ونحوه، ويحفظه –أيضاً– من كل ما يستحيي منه ويسوء صاحبه أن يُرى منه سواء كان من الأقوال أو من الأفعال(١). وقد وردت أدعية كثيرة يقولها المسلم في الصباح والمساء، وتضمنت معاني قريبة من معنى هذا الدعاء(٢).

- ووردت أدعية يقولها المسلم؛ ليحفظه الله إذا آوى إلى فراشه(٣)، وإذا أخذ مضجعه(٤)، وإذا وقع في مصيبة أو مرض أو بلية أو شدة يعسر الخروج منها أو أصابه هم أو غم أو حزن(٥).

-

(١) ينظر: سبل السلام، الصنعاني، ٢/ ٧١١.

(٢) كما روى عثمان بن عفان ﷺ وأخرجه أبو داود في سننه، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، ٧/ ٤١٩، رقم (٥٠٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم، ٥/ ٢٣٢٩، رقم (٥٩٦١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٤/ ٢٠٨٣، رقم (٢٧١٢).

(٥) وقد وضع المحدثون كثيراً من هذه الأحاديث في أبواب ضمن كتبهم، كما فعل البخاري [ت ٢٥٦ه] في صحيحه، حيث ضمنه الأبواب التالية: باب التعوذ من جهد البلاء، باب التعوذ من الفتن، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، باب التعوذ من أرذل العمر، باب التعوذ من فتنة الفقر، باب التعوذ من فتنة الدنيا. كما أدرج مسلم [ت: ٢٦١هـ] في صحيحه الأبواب التالية: باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره. ينظر: صحيح البخاري، ٨/ ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٣، صحيح مسلم، ٢/ ٦١٦، ٤/ ٢٠٨٠، ٢٠٨٥.

المطلب الثالث: أثر الأدعية المأثورة في التدريب على الاستعانة بالله والرضا بقضائه

من الوسائل المهمة في نمو التفاؤل: الاستعانة بالله تعالى، وهي تجمع الثقة بالله والاعتماد عليه واللجأ إليه، وهذه حقيقة قول العبد المسلم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وتحقيق الاستعانة يكون بأمرين :

أحدهما: التجاء القلب إلى الله، والإيمان بأن النفع والضر بيده سبحانه، وأنه مالك الملك ومدبر الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيستعين العبدُ الضعيفُ بالله القوي راجياً إعانته. وهذا الأمر حاصل ومتحقق في الأدعية، كما تبين وسيتبين عند ذكر نماذج منها.

والثاني: بذل الأسباب التي هدى الله إليها وبيّنها. وقد بينتُ علاقة التفاؤل بالعمل وبذل الأسباب[١] .

ومن منازل الاستعانة منزلةُ الرضا، بحيث يكون العبدُ راضياً تمام الرضا عن ربه ومولاه، متيقناً أتمّ اليقين أن الخيرَ فيما قدّره وقضاه[٢].

وفي الدعاء يلتجئ المسلم إلى الله، ويطّرح بين يديه طالباً منه إعانته في أموره كلها؛ فإن العباد محتاجون إلى الله تعالى في تحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم)[٣]، فإن "هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من

(١) ينظر: ص ١٥ من البحث.
(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ١٧١.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٤، رقم (٢٥٧٧).

ذلك، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فإنه يحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أَوْبَقَتْه خطاياه في الآخرة"(١)، والله يحب من عباده أن يسألوه ويتضرعوا إليه وحده في طلب ما يحتاجون إليه، ويلتجؤون إليه ويطّرحون بين يديه في كشف ما يضرهم ودَفْع ما يحذرون منه؛ والإسلام يعدّ ذلك من العبادة، بل الدعاء هو العبادة(٢).

وقد وردت أدعية مأثورة تعوّد المسلم على الاستعانة بالله والالتجاء إليه، منها ما يأتي:

- ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا)(٣).
- فاطراح العبد بين يدي ربه واستعانته به ورضاه بقضائه واضحةٌ في هذا الدعاء، وقد وعد النبي ﷺ قائله بأن يُذهب الله همّه ويبدله فرحاً وسروراً يدعوه للتفاؤل بالخير.
- وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أصبح قال: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير". وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور".
- وفي هذا الحديث يعترف المسلم بأنه إنما أصبح بإعانة الله له في جميع الأوقات وفي سائر

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٣٧، وينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٨/ ٥١٤.
(٢) كما ورد ذلك في حديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن، ٥/ ٢١١، رقم (٢٩٦٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح" .
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا، ٣/ ٢٥٣، رقم (٩٧٢)، قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح".

الأحوال، وأن الله هو وحده المعين له في ذلك، ولا غنى له عنه طرفة عين، وقد تضمن اللجوء إليه سبحانه والاعتراف بمنّه وفضله ما يحقق للمرء إيمانه ويقوي يقينه وثقته بالله، وحسن ظنه به، فتعظم صلته بربه. فهو دعاء نبوي عظيم، وذكرٌ مبارك، يجدر بالمسلم أن يحافظ عليه كل صباح ومساء، ويتأمل في معانيه الجليلة ودلالاته العظيمة، وكيف أنه قد اشتمل على تذكير المسلم بعظيم فضل الله عليه، وواسع منّه وإكرامه، فنَوْم الإنسان ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده إنما هو بالله عز وجل[١]، وهذا من أهم ما يوجد البيئة المتفائلة عند المسلم.

- ومن توفيق الله لعبده أن لا يَكِلَه إلى نفسه، ومن خذلانه له أن يخلّي بينه وبين نفسه، فعليه أن يسأله توفيقَه مسألةَ المضطر، ويعوذ به مِن خذلانه عياذَ الملهوف[٢]، وقد روى أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت، وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[٣]. فإذا أصلح الله شأنه فقد هُدي ورَشَد، وعاش عيشة سعيدة، متفائلة بالخير القادم في حياته وبعد مماته.
- ومن أدعية النبي ﷺ التي توضّح رضاه بقضاء الله وقدره أنه كان يقول: (اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء)[٤]، وفيه حثٌ للمسلم – وتعويد له – أن يكون راضياً

(١) ينظر: سبل السلام، الصنعاني، ٢/ ٧١٤، تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٩/ ٢٣٦، فقه الأدعية والأذكار، البدر، ٣/ ٢٣.
(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ١/ ٤١٥، شرح حصن المسلم، مجدي الأحمد، ١٧٦.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٧٣٠، رقم (٢٠٠٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٠١٣، رقم (٥٨٢٠).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/ ٦٩٧، رقم (١٩٠٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه".

بقضاء الله وقدره[١]، ليكون مرتاح البال، مطمئن النفس، وهذا مهم جداً في تعويد النفس على التفاؤل.

المطلب الرابع: أثر الأدعية المأثورة في تنمية حسن الظن بالله والثقة به، والتوكل عليه

للأدعية المأثورة أثر كبير في تنمية حسن ظن المسلم بربه[٢]، وثقته به، ويقينه بمعيته سبحانه وتعالى، وأنه سيسمع دعاءه ويستجيب له، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وذلك ما يجعل المسلم يدعو الله وهو موقن بإجابة الله تعالى. وإذا أحسن ظنَّه بالله أحسن توكّله عليه، وآمن بقضائه وقدره، وحقق التوحيد[٣]، فغدا مرتاح البال مطمئن النفس، وهذه بيئة مساعدة على التفاؤل؛ فإن الكلمة الطيبة إذا صدرت من مسلم دلّت على أن نفسه راضية مرتاحة مطمئنة.

ولهذا فإن حسن ظن المسلم بربه من الوسائل المهمة لتقوية دافعيته نحو التفاؤل، فمن أحسن ظنه بربه نالَ أعلى درجات التفاؤل، وظهرت آثاره عليه في حياته وسلوكه، ووفقه الله لكل خير؛ فيتيقن بأن الله لا يقدّر له إلا الخير، ومتى حصل له ذلك غدا مطمئناً إلى أن الله هو العليم الحكيم، الذي يعلم أين يكون الخير، ويعلم أين يكون الشر، وهو بعباده رؤوف رحيم، ينزل به ما يقتضيه خيره، ويرشده إلى ما فيه خيره وسعادته، فيأخذ توجيهات الله

(١) ينظر: القضاء والقدر، الأشقر، ٩٠.

(٢) إحسان الظن: هو حميل الاعتقاد بالله تعالى بذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وتدبيره وقضائه وقدره، على ما ورد في الشرع المطهر، وأن الله تعالى وحده هو الذي يعافي عباده، ويهديهم، ويقبل توبة التائبين. إحسان الظن بالله تعالى، د. فهد الفهيد، ١٠.

(٣) ينظر: قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، ١/ ٢٣٠، متفائلون، القصير، ٨٦.

ومقاديره بالتسليم التام، ويلتزمها التزاماً صادقاً[١].

«والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال»[٢]، فقد روى جابر ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، قبل وفاته بثلاث، يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن)[٣]، وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله: أنا عند ظن عبدي بي)[٤]، وقال ابن مسعود ﷺ : (والله الذي لا إله إلا هو ما أُعطي عبدٌ مؤمنٌ قط شيئاً خيراً من حسن الظن بالله، والله الذي لا إله إلا هو لا يحسن عبدٌ الظن إلا أعطاه الله ظنه، وذلك أن الخير في يديه)[٥].

ومما يساعد على التفاؤل توكلُ المسلم على الله[٦]، الذي هو "جماع الإيمان"[٧]، فهو متفائلٌ بحصول الخير، عازمٌ على أداء الأعمال الخيّرة[٨]، باذلٌ الأسباب الممكنة لأدائها، متوكلٌ على الله[٩]، وسيمنحه الله قوة وشجاعة، وصبراً وتحملاً، تمكّنه من أداء تلك الأعمال على أفضل

(١) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، ١/ ٢٠٢)، قوة التفكير الإيجابي، نورمان (٢١٣).
(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٢١٥، وينظر: إحسان الظن بالله تعالى، د. فهد الفهيد، ١٨).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفتها ونعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ٤/ ٢٢٠٥، رقم (٢٨٧٧).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ٩/ ١٤٥، رقم (٧٥٠٥).
(٥) وأرده ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري، ١٠/ ٩٩.
(٦) حقيقة التوكل: صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٢/ ٤٩٧.
(٧) هذا أثر مروي عن سعيد بن جبير ﷺ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٧/ ٢٠٢، رقم (٣٥٣٤٢) بلفظ: «التوكل على الله جماع الإيمان».
(٨) والتوكل على الله لا ينافي بذل الأسباب التي يجب أخذها تجاه أي عمل يحصل للمسلم، فإن "من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا". زاد المعاد، ابن القيم، ٣/ ٤٢٠، وينظر: تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الوهاب، ١/ ٤٤٣.
(٩) وقد أشار إلى ذلك كثير من أهل العلم، قال: ابن أبي العز الحنفي [٧٩٢هـ]: «قد ظن بعض الناس أن

وجه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، "أي كافِيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوِّه" (١). وسيرزقه الله من حيث لا يحتسب، قال النبي ﷺ: (لو أنكم توكَّلون على الله حقَّ توكُّله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تَغدو خماصًا وتعود بطانًا)(٢). والتوكل ثمرة لليقين بالله والثقة به ونتيجة لهما(٣)، وهو –بهذا– يلقي في النفس المؤمنة الطمأنينة والأنس به تعالى، ويطرد عنها الهموم والقلاقل والوساوس، ويجعلها مقبلة على الله الذي بيده وحده تحقيق المآرب والآمال، وتلك هي السعادة التي تحفُّ النفسَ المؤمنة وتجعلها متفائلة(٤) .

ومما يؤكد على أن للأدعية المأثورة أثراً بالغاً في تشجيع المسلم على التوكل على الله ما يأتي:

أنه يشرع للمسلم إذا خرج من منزله أن يستعين بالله، ويتوكل عليه سبحانه، قائلاً: (بِسْمِ اللـه، توكَّلْتُ على اللـه، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللَّـه) وجاء في نهاية الحديث أنه : (يُقال له: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وهُدِيتَ، وتنحَّى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكفي ووقي؟)(٥). والمعنى صُرف عنك الشر، وكُفيت كل هم دنيوي وأخروي، وحُفظت من شر الأشياء الخفية عنك، ومن شر أعدائك من الشياطين وغيرهم(٦) ، ومن

التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب. وهذا فاسد...وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لامة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب). شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ٢/ ٣٥١.

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، ٢/ ٢٣٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ١/ ٢٥٢ رقم (٢٠٥)، وصححه أحمد شاكر. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٩٣٢، رقم (٥٢٥٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ١٤٢.

(٤) ينظر : أخلاق المسلم ، د . وهبة الزحيلي، ٥٦.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من بيته، ٢/ ٧٤٦، وصححه الألباني.

(٦) ينظر : تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٩/ ٢٧١، فقه الأدعية والأذكار، البدر، ٢/ ٩٩، ١٠١.

كانت هذه حاله فسيسكن قلبه، وتطمئن نفسه، ويكون في وضعية مناسبة للتفاؤل بدفع السوء عنه وجلب الخير له. وقد اشتمل هذا الدعاء على ذكر مبارك، وهو "لا حول ولا قوة إلا بالله" وفيه إعانة للمسلم على قضاء حوائجه، قال ابن القيم «وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمّل المشاق... ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر»[١] ، فإذا عرف المسلم هذه المعاني وهو خارج من منزله، ارتاح واطمأن وتفاءل بأن الله سيصرف عنه الشر، وييسر له سبيل الخير، فإذا تكرر منه ذلك كلّما خرج من منزله، أصبح تفاؤله عادةً سلوكية متكررةً في حياته.

كما يشرع للمسلم أن يقول في صباحه ومسائه ما روى أبو الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (من قال في كل يوم - حين يصبح وحين يمسي- : ﴿حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، سبع مرات كفاه الله ما أهمه)[٢]. أي: الله كافيني من كل ما يضرني أو يهمني أمره، فمن خاف قوماً أو أهمّه أمر من الأمور كمرض أو قلة مال أو نحو ذلك، فليلجأ إلى الله تعالى، وليسلّم أمره إليه، وليتوكل عليه، فإنه كافيه[٣]، والتكرار هنا يقصد به تعويد المسلم على المعاني التي يتضمنها هذا الدعاء؛ لتكون حافزاً له على التفاؤل.

(١) الوابل الصيب، بن القيم، ٧٧.

(٢) أخرجه ابن السني مرفوعاً في عمل اليوم والليلة برقم (٧١)، وصحح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ٢/ ٣٧٦، وأخرجه أبو داود في سننه موقوفاً ، أ[واب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، ٧/ ٤١٤، رقم (٥٠٨١)، وضعفه الشيخ الألباني، وقال الأرنؤوط: «رجاله ثقات، وهو موقوف».

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ٢٧٢، روح المعاني، الآلوسي، ٤/ ١٢٦.

المطلب الخامس: أثر الأدعية المأثورة في زيادة الطاعات

للطاعات ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة يمنّ الله تعالى بها على من اصطفاه من عباده ليأنس بنعيم قربه ومناجاته، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وما شرعت الطاعات إلا لنفع العباد في العاجل والآجل(١) ، وهي "سبب في الفوز بالنعيم"(٢) ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] أي : ظفر بالخير كله، وعاش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً(٣)، وكان بعض السلف يقول: "هلموا إلى طاعة الله، فإن في طاعة الله دَرَكَ الدنيا والآخرة"(٤). وهي سبب للنجاة في الشدائد، فقد علّم النبي ﷺ ابنَ عباس رضي الله عنه كلمات، منها: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)(٥) . يعني: امتثل أوامر الله بالطاعات، واجتنب نواهيه من المعاصي، يحفظ الله لك دنياك بحفظ ولدك وأهلك ومالك، ويحفظ لك آخرتك بحفظ دينك وإيمانك من الشبهات ومن الشهوات(٦).

وإن حِرص المسلم على طاعة الله الظاهرة والباطنة، وترك معاصيه الظاهرة والباطنة، من أهم الوسائل التي تعينه على التفاؤل؛ فإن الطاعة من أهم أسباب زيادة الإيمان، الذي يغرس النظرة التفاؤلية لدى المسلم، التي تهيئ له حياة طيبة، أما المعرض عن الطاعات، المقيم على المعاصي والسيئات، فسيضعُف قلبه، ويحرم من العلم، ومن الرزق، وتتعسر عليه الأمور،

(١) ينظر : الموافقات، الشاطبي، ٢/ ٦.
(٢) المرجع نفسه، ١/ ٢٣٤.
(٣) ينظر : تفسير البغوي، ١/ ٣٧٩، فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٤٣٧.
(٤) تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٦١ .
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٦٧، رقم (٢٥١٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني.
(٦) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ١/ ٤٦٢.

فتكثر لديه الأوهام والوساوس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [لأنعام: ١٢٥]، ومن ثم يستولي عليه اليأس والقنوط مع حلول المصائب والكوارث.

وهناك طاعات ذكر العلماء أنها تدعو إلى التفاؤل، مثل: استحباب التيامن؛ «لما فيه من اليُمن والبركة، وهو من باب التفاؤل»(١). كما شرع الابتداء بالسلام في الاستئذان وفي غيره؛ «لما في السلام من التفاؤل بالسلامة»(٢) . وكذلك قراءة القرآن الكريم فإنه فيه طمأنينة المسلم وراحته، وإنقاذه من كثير من المشكلات النفسية والروحية والبدنية، ولا سيما الآيات التي تُذَكّر بنعيم الجنة، وما صنعه الله تعالى إكراماً لعباده الصالحين، ووعْده تعالى لهم بالرحمة والمغفرة والتوفيق في الدنيا والآخرة، ومن المهم أن يحافظ على تلاوة سورتي الفلق والناس، التي يُستعان بقراءتها على دفع القلق النفسي، وإذهاب الشر الخارجي، لا سيما طوارق الليل والنهار(٣). وقد أرشد النبي ﷺ المسلمَ إلى أن يطلب من الله أن يريح نفسه بقراءة القرآن وبهديه وتعاليمه، بحيث يجعله ربيعاً له(٤)؛ لأن الإنسان يرتاح قلبُه في الربيع من الأزمان،

(١) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، ابن دقيق العيد، ٤/ ٣٤٩، وينظر: قواعد الأحكام، العز بن عبدالسلام، ١/ ٢٣٠.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان التوحيدي، ٨/ ٣١.

(٣) ينظر: استراتيجية التفاؤل، د. السامرائي، ١٣٨، ١٦٢.

(٤) فقد روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أصاب أحداً قطّ هَمّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا، قال: قالوا: يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن). أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرحا، ٣/ ٢٥٣، رقم (٩٧٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

ويميل إليه، ويخرج من الهم والغم، ويحصل له النشاط والابتهاج والسرور، ويشرح صدره به، بحيث يصبح منوراً، ويكشف به حزنه، وهو سبيل إلى سلامته من المشغلات والملهيات[١]، وهذه من أهم ثمرات التفاؤل.

بل إن التفاؤل – نفسه – يُعد عبادة وطاعة لله؛ إذ فيه اقتداء بالنبي ﷺ[٢]، فكان يعجبه التفاؤل، وتمثله واقعاً معاشاً في حياته، وحثّ أمته عليه، فلا توقفه عن سيره إلى غايته نازلةٌ مهما عظمت، ولا شدةٌ مهما كبرت[٣]؛ ففي مكة في شدة الأذى والحصار قال لأصحابه لما شكوا إليه عظيم ما يلقونه من البلاء: (والله لَيُتِمَنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[٤].

وقد تضمنت الأدعية المأثورة الالتجاء إلى الله بأن يوفقه إلى طاعته وأن يتقبلها منه، من ذلك:

- أن رسول الله ﷺ كان قلما يقوم من مجلس حتى يدعو لأصحابه بكلمات، منها: (اللهم اقسم لنا ... من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ...) الحديث[٥].

(١) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/ ٤٦٢.

(٢) ومن أمثلة ذلك: أن رسول الله ﷺ سمى الأعمى بصيراً على طريق التفاؤل، وقد عنون البيهقي في السنن الكبرى "باب: من سمى المرأة قارورة، والفرس بحرا على طريق التشبيه، أو سمى الأعمى بصيراً على طريق التفاؤل"، وأورد البيهقي فيه أن رسول الله ﷺ قال : (انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقف نعوده). وكان رجلا أعمى. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ٣٣٧، رقم (٢٠٨٥١)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٥٢، رقم (٥٢١).

(٣) ينظر في تفاؤله ﷺ في الأزمات والشدائد: كتاب تفاؤله ﷺ في الأزمات، د. الدويش، ٣٣، وما بعدها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ٢٠١، رقم (٣٦١٢).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، الدعوات، ٥/ ٥٢٨، رقم (٣٥٠٢)، وقال: "هذا حديث حسن غريب" وحسنه الألباني.

- وورد عن النبي ﷺ أنه إذا أصبح قال : (اللهم إني أسألك ... عملاً متقبلاً)[1]، وفي هذا التجاء إلى الله أن يوفّق الداعي إلى الأعمال الصالحة المتقبلة الجالبة لرضا الله وإعانته وتوفيقه[2]، ولذلك شرع للمسلم أن يدعو به إذا أصبح؛ ليستقبل به أيامه، فتتهيأ له – صباح كل يوم – البيئةَ المناسبةَ للتفاؤل.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، إقامة الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، ١/ ٢٩٨، رقم، ٩٢٥، وصححه الألباني.

(٢) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، البدر، ٢/ ٤٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فمن خلال التطواف بين مطالب هذا البحث حدّدت المراد بالتفاؤل بأنه توقّع الخير، الناشئ عن حُسن ظنّ المسلم بربه، المعزَّز بما وَقَرَ في قلبه من التوكل عليه والثقة به، المؤيَّد بما يقوله أو يسمعه من كلام حَسَن – وبخاصة عند حصول الأزمات- يبعث على الطمأنينة ويشجع على السلوك الإيجابي، المثمر للعمل والسعادة والارتياح.

- والإسلام ينظر إلى أن التفاؤلَ انعكاسٌ فكريٌ ونفسيٌّ لحسن ظنّ المسلم بربه، ووقودٌ شعوريٌّ محفزٌ لطاقاته، فينبغي الاهتمام ببيئة المسلم المحيطة به، وهي كل ما تسمعه آذانه، وتقع عليه عينه، وما يقوله وطريقة قوله.
- وأن التفاؤل مشروع في الإسلام، ومندوب إليه بشكل عام، وقد يكون واجباً إذا أدى تركُه لتشاؤم المسلم ويأسه وقنوطه، وتَرَتَّب عليه سوء حالته النفسية، وتعدى الأمر إلى سوء حالته الصحية، حتى وصل به الحال إلى القلق والاكتئاب، المؤدي – في الغالب – إلى نتائج مميته كالجلطة الدماغية، أو الذبحة صدرية، أو نحو ذلك مما يؤدي إلى الهلاك.
- والتفاؤل المشروع هو الذي يدعو إلى العمل ويشجع على الجدّ والمثابرة، وليس التفاؤل عُدة الكسالى والقاعدين والمتواكلين.
- التأكيد على أن الإسلام يسعى- من خلال توجيهاته - إلى جلب المصلحة لأفراد المجتمع في مجالات الحياة المتنوعة، وإسعادهم في الدنيا والآخرة، ويجعل استجابتهم لتوجيهاته عبادةً يتقربون بها إلى الله، ويتضح ذلك جلياً في التفاؤل، وفي الأدعية المأثورة.
- بتتبع ما تضمنته الأدعية المأثورة من العبارات العظيمة، والمعاني الجامعة والمقاصد العالية

من طلب المصالح العاجلة والآجلة، تبين أنها تهيئ البيئة المناسبة للتفاؤل، فهي تشجع الداعي على التفاؤل، وتجسّد فيه الرغبة في الحياة الطيبة، والسلامة من كل مصيبة، ويستجلب الفرحة والسرور، والعبارات الطيبة الخيّرة تدل على ارتياح قائلها واطمئنانه ورضاه. والعباد مفتقرون إلى ربهم، ومحتاجون إلى الاطراح بين يديه كل حين، في السراء والضراء، فهي – إذن – وسيلة مهمة من وسائل بَعْث التفاؤل، وإشاعته بين أفراد المجتمع، ونشر ثقافته بينهم، وأبين ذلك في الآتي:

- تضمنت الأدعية المأثورة طلب الخير بشكل عام، أو طلبه في أمور مخصوصة، والتفاؤل إنما هو توقُّع الخير كما سبق. كما أنها اشتملت على رجاء لأمورٍ حسنة خيّرة، واستعاذةٍ من أمور سيئة شريرة، وهذا له أثر واضح في إيجاد بيئة متفائلة بعيشٍ حميدٍ، آمنٍ، مشجعٍ على السلوك الإيجابي، محرِّكٍ لطاقات الإنسان نحو العمل والجدّ، وبخاصةٍ عند الأزمات والشدائد.
- اهتمت الأدعية المأثورة – بما تحويه من معان عظيمة، ومقاصد جليلة – بتعويد الداعي على الاستعانة بالله، والثقة به واللجأ إليه، والرضا بقضائه، وحسن الظنّ به، وتوكله عليه، بأسلوب بليغ، وتعبير صادق، يكشف عن مكامن الضمائر، ومرادات النفوس، ومتطلبات الأرواح، وهذا مهم في رضا النفس وراحتها، وسرور القلب وطمأنينته، فهو مهم في إيجاد البيئة المحفزة على التفاؤل. وتكرار الأدعية في حالات كثيرة يهدف إلى غرس معانيها المتفائلة، وجعلها عادة ومهارة يتحلى بها المسلم، فإذا حافظ عليها المسلمون شاع بينهم التفاؤل، وانتشرت ثقافته بينهم.

التوصيات: في ختام هذا البحث أوصي بالاهتمام بتأصيل التفاؤل، وتوضيح علاقته بمقاصد الشريعة وقواعدها.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

أثر الأدعية المأثورة في حفظ مقاصد الشريعة، أ. د. عبدالقادر بن ياسين الخطيب، ط١، الرياض، مكتبة كنوز إشبيليا، عام ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

إحسان الظن بالله تعالى، د. فهد بن سليمان الفهيد، ط٢، (د . م) ، ١٤٣٦هـ.

إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، (د. ط) بيروت، دار المعرفة، (د.ت).

الأخلاق الإسلامية وأسسها، د. عبدالرحمن الميداني، ط ٥، بدمشق، طبع: دار القلم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

أخلاق المسلم، أ. د . وهبة الزحيلي، (د. م) ببيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

استراتيجية التفاول سبيلك إلى النجاح – دراسة في ضوء القرآن والسنة، د. عبدالقدوس أسامة السامرائي، ط ١، (د. م) إدارة البحوث، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط ٢، بيروت، دار المعرفة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

الأمن الفكري في الإسلام، د. جميل بن عبيد القرارعة، ضمن كتاب "الأمن رسالة الإسلام" إعداد مجموعة من أساتذة قسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

الأمن النفسي عند المؤمنين، د. عبدالغني عثمان الغامدي، ط ١ (د. م) مكتبة المتنبي، ١٤٢٩هـ.

الإيمان بالقضاء والقدر، أ. د. عمر سليمان الأشقر، ط١٣، الأردن، دار النفائس، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

الإيمان بالملائكة، أحمد عز الدين البيانوني، ط٢، (د. م) دار السلام، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، ورفاقه، ط ١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، بيروت، ط ١، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

تحفة الأحوذي، المباركفوري، محمد عبد الرحمن، (د. ط) بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت).

تصحيح الدعاء، لبكر بن عبدالله أبو زيد، ط ١، الرياض، دار العاصمة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد الشريف، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

التفاؤل وأثره في حفظ مقاصد الشريعة، أ.د. عبدالقادر بن ياسين الخطيب، تحت الطبع.

التفاؤل والتشاؤم المفهوم والقياس والمتعلقات، د. بدر محمد الأنصاري، ط ١ (د. م) جامعة الكويت، ١٩٩٨م.

التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في الدعوة إلى الله، صفاء بن حامد التكينة، ط١، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

تفاؤله ﷺ في الأزمات، د. إبراهيم بن عبدالله الدويش، ط١، الرياض، دار الميمان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،

والشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

تفسير البغوي (معالم التنزيل) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد عبد الله النمر، ورفاقه، ط ٤، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

تفسير البيضاوي (تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، (د. ط)، (د. ت)، دار الفكر ببيروت.

تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط ١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦ه.

تفسير ابن كثير، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمود حسن، طبع: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر ، ١٤١٠هـ .

تيسير التحرير، أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود البخاري، (د. ط) بيروت، دار الفكر (د. ت).

تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (د. ط) مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، (د. ت).

جامع العلوم والحكم، ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، ط٢، بيروت، دار المعرف ، ١٤٠٨هـ.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، ط ٣، (د. م) دار الكتاب العربي بالقاهرة، (د. ت).

الدعاء وأحكامه الفقهية، خلود بنت عبدالرحمن المهيزع، ط١ ، الرياض، دار الصميعي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

الدعاء، الخضري، عبدالله بن أحمد، تحقيق: محمد علي الحلبي الأثري، ط١، الشارقة، دار الفتح، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، د. مقداد يالجن، ط١، الرياض، دار الشروق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

روح المعاني (تفسير الآلوسي) الآلوسي، أبو الفضل محمود، (د. ط) بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).

زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

زاد المعاد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

سبل السلام شرح بلوغ المرام الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

السلسلة الصحيحة، الألباني، محمد بن ناصر الدين، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ٢٠٠٤م.

سنن ابن ماجة، ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط) بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م . والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (د. ط)

بيروت، دار إحياء التراث العربي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط) بيروت، دار الفكر، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

السنن الكبرى البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

شأن الدعاء، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط٣، دمشق، دار الثقافة العربية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، و د. عبدالله التركي، ط١٠، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٠، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري: د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، مطبوع ضمن كتاب الأمن الفكري، ط١، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الصحاح، الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ.

صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م .

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي،

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط) بيروت، دار إحياء التراث العربي(د. ت).

العادات العشر للشخصية الناجحة، د. إبراهيم بن حمد القعيد، (د. ط) الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، عام ١٤٢٢هـ.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى، (د. ط) بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت).

عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير الصديقي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق : حسنين محمد مخلوف، ط١، بيروت، دار المعرفة ١٣٨٦هـ.

فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ط٢ القاهرة، دار الريان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، (د. ط) بيروت، دار الفكر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ.

فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط١، الرياض، كنوز إشبيليا ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

فقه الأسماء الحسنى، د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط١، الرياض، دار التوحيد بالرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ط١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ.

القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ط٢ بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ.

القلق، لموشي زيدنر، وجيرالد ماثيوس، ترجمة: أ.د. معتز سيد عبدالله، و أ. د. الحسين محمد عبدالمنعم، (د. ط) الكويت، دار المعرفة ٢٠١٦م.

قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، عبدالعزيز بن عبدالسلام، ط١، بيروت، دار المعرفة (د. ت).

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: يوسف خياط، (د. ط) بيروت، دار لسان العرب.

مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١ الرياض، دار الوطن، ١٤١٢هـ.

متفائلون، عبدالكريم بن عبدالعزيز القصير، (د. ط) الرياض، دار وجوده (د. ت).

مجمع الزوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر، (د. ط) بيروت، دار الفكر ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبدالحليم، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط٣، الرياض، مطابع الرياض ١٣٨١ ـ ١٣٨٦هـ .

مختار الصحاح، الرازي، أحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، تحقيق: محمود خاطر، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

مدارج السالكين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، د. سعيد سعد مرطان، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، (د. ط) القاهرة، مؤسسة قرطبة (د. ت).

المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد المقري، (د. ط) بيروت، المكتبة العلمية (د. ت).

مصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض، مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ.

معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد عمر، ط١ بيروت، عالم الكتب ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م.

المعجم الوسيط، مجموعة من باحثي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (د.ط) (د.م) دار الدعوة (د.ت).

المقاييس في اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط) بيروت، دار الجيل، (د. ت).

الموافقات في أصول الفقه، الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي، تحقيق: عبد الله دراز، ط١، بيروت، دار المعرفة (د.ت).

موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، شارك فيها عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبدالله بن حميد، ط٤، جدة، دار الوسيلة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى –

محمود محمد الطناحي، ط١، بيروت، المكتبة العلمية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ط١، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

مواقع شبكة المعلومات:

موقع السكينة:www.assakina.com .

موقع الألوكة: www.alukah.net .